التعمير

فى القرآن و السنة

مهندس معماري
يحيى وزيري

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــه

إن الحمد لله نحمده و نستعينه و نستهديه و نستغفره، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادى له و نشهد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أن محمداً عبده و رسوله صلى الله عليه و على آله و سلم تسليماً .

ثارت تساؤلات و محاورات عديدة حول مفهوم العمارة الإسلاميه ...

فبينما يرى البعض أنه لا يمكن تحديد مفهوم واضح للعمارة الإسلاميه، بل غالى البعض منهم و ادعوا أنه لا توجد أصلا عماره يمكن أن نسميها بالعمارة الإسلاميه ... فنجد أن البعض الآخر يرى أنه توجد عمارة إسلامية تتمثل فى الآثار الإسلاميه و التى تعبر عن الفترات التاريخيه المختلفه للعصور الإسلاميه، و ينحصر مفهومهم عن هذه العماره الإسلاميه من خلال تأثرها بالمناخ و العادات و التقاليد و الطرز المحليه و يروا أنه من المغالاة أن نربط العمارة بتعاليم الإسلام، و أنه لا داعى لإقحام الدين فى العمارة لأنها من الأمور الدنيويه مثلها فى ذلك مثل السياسه و الإقتصاد و غيرها من جوانب العلوم و جوانب الحياة المختلفة ...، و سواء كان رأيهم هذا ناتجاً عن جهل بماهية الدين و وظيفته فى الحياه، أو كان ناتجاً عن تعمد، فإنهم فى النهاية يريدون أن يقصروا تأثير الدين و تعاليمه على الجانب التعبدى فقط .

أما البعض الآخر فلقد أكد على أنه لا يمكن فهم العمارة الإسلاميه و وضع مفهوم واضح لها إلا من خلال معرفة تأثير التعاليم الدينيه عليها، و على الرغم من ذلك، فإن كثيراً من الذين يؤمنون بهذا الرأى لم يتفقوا على مدى الارتباط بين الإسلام و فن العمارة أو كيفية تحديد المؤثرات الدينية و تطبيقها فى مبانى المسلمين بحيث يمكن أن يكون هناك تصور واضح لعمارة المسلمين .

و نحن فى بحثنا عن مفهوم واضح لعمارة المسلمين يجب أن نبدأ من نقطة البداية الصحيحه و هى من ارتباط هذه العمارة بالإسلام و تعاليمه، فالإسلام دين جامع و شامل حدد نظام إقامة العلاقة بين العبد و ربه و بين العبد و مجتمعه و لم يترك صغيرة و لا كبيرة فى حياة المسلم إلا و وضع لها الإطار النموذجى الواجب الإتباع .. فهل أهمل الإسلام مسألة تحديد نظام معيشة و سكن المسلم ؟ .. بالطبع لا .. فقد جاءت آيات الله فى كتابه الكريم و أحاديث رسوله عليه الصلاة و السلام موضحة و مؤكدة على الصلة بين الإسلام و العمران هذا من جانب و من جانب آخر أعطت المضامين و المعايير التى تشكل الجانب التطبيقى فى عمران و عمارة الأرض .

فلقد تحدثت العديد من الآيات القرآنيه عن العلاقه بين الإسلام و التعمير بل إننا لو تأملنا سور القرآن الكريم لوجدنا أن الله سبحانه و تعالى قد اختار أسماء بعض من سوره لها ارتباط بالعماره "كالبلد" و "الكهف" و "الحجرات" كما جاء

ذكر العماره بلفظها أو اشتقاقها فى سور عديده منها "الطور" و "هود" و "الرعد" و "الروم" و "التوبه" ..، كما جاء ذكر أسماء لبعض المدن مثل "بكه"-مكه- و "المدينه" بالجزيرة العربيه، و "سبأ" باليمن، و "مدين" بفلسطين، و "إرم" بالأحقاف، و "بابل" بالعراق، و مصر .

و لم يكتف القرآن الكريم بذلك بل قص علينا من خلال سوره وآياته قصصاً لبعض من حضارات الأمم السابقه و ما كانت تحويه هذه الحضارات من تقدم عمرانى كبير .

كما أشار القرآن الكريم إلى وجوب عمارة الأرض عمارة واسعة فاضلة سواء كان ذلك بالمبانى أو بغرس الأشجار و حفر الأنهار و استصلاح الأراضى، و أن تعمير الأرض واجب على البشر و ليس ضرباً من ضروب الرفاهية، حيث يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ (هود).

قال زيد بن أسلم :" أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها من بناء مساكن و غرس أشجار "، و قال ابن العربى: قال بعض علماء الشافعية : الاستعمار طلب العمارة، و الطلب المطلق من الله تعالى على الوجوب، و قال الجصاص: و "فيها" للدلالة عل وجوب عمارة الأرض للزراعة و الغراس و الأبنية"[١] .

(١) تفسير القرطبى.

و لقد رغبت السنة النبوية فى عمارة الأرض و تعميرها فى العديد من الأحاديث الشريفة، فلقد روى الإمام أحمد فى مسنده عن معاذ عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : " من بنى بنياناً من غير ظلم و لا اعتداء أو غرس غرساً فى غير ظلم و لا اعتداء كان له أجر جار ما انتفع به من خلق الله تبارك و تعالى " .

و فى الحديث النبوى دعوة و ترغيب لعمارة الأرض سواء كان ذلك بالبناء أو الزراعة أو الغرس .

كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :" إن ما يلحق المؤمن من عمله و حسناته بعد موته : علماً علمه و نشره، و ولداً صالحاً تركه، أو مصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها فى صحته و حياته تلحقه من بعد موته"، رواه ابن ماجه و البيهقى عن أبى هريرة .

و الشاهد فى الحديث النبوى هو الترغيب فى عمارة الأرض عن طريق بناء المساجد أو البيوت لأبناء السبيل ليتنزل فيها المسافرين ممن لا مأوى لهم يأوون إليه، و كذلك حفر الأنهار لانتفاع الناس بها .

لذلك فعمارة الأرض عبادة بل هى جزء أساسى من الرسالة الساميه التى كلف الله عباده بها و من هنا فإن على الإنسان أن يقوم بتنفيذ مشيئة الله سبحانه و تعالى فى تعمير هذه الأرض عمارة واسعة و خاصة أن الله قد مكنه فيها حيث يقول سبحانه و تعالى :

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ ﴾ من الآية ١٠ (الأعراف)

فما على الإنسان إلا أن يوجه هذه التمكين إلى عمارة الأرض و ذلك باتباع التوجيهات التى دعى إليها الله سبحانه و تعالى فى آيات القرآن الكريم و أيضاً من خلال تعاليم الرسول عليه الصلاة و السلام، و هذه الآيات و التعاليم تعتبر الصّراط السوى و الدستور الهادى للمجتمعات الإسلاميه عند تعميرها للأرض و الذى يعتبر من أهم الواجبات التى ألقاها الله على عاتق عباده لتستمر الحياة على الأرض و تتحقق غايته العظمى من الخلق .

و لقد حاولنا فى هذه الدراسة أن نجمع بين آيات العمران فى القرآن موضحين بذلك أحد جوانب الإعجاز فى القرآن الكريم إلى جانب أحاديث الرسول عليه الصلاة و السلام و أفعاله و أقوال صحابته و التى تحتوى على مبادىء و مفاهيم هامة لعمارة الأرض، و قد صدق رسولنا الكريم حيث قال : " تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً : كتاب الله و سنتى " .

و نحن عندما حاولنا أن نوضح تأثير المنهج الإسلامى على تصميم المبانى المختلفة لم يكن ذلك بغرض وضع قوالب أو نماذج ثابته لتصميمات المبانى على اختلافها و تنوعها و لكن كان بغرض البحث عن الثوابت و المعايير الإسلاميه الأصيله الواجب توافرها فى أى مبنى حسب وظيفته حتى يمكن أن ينتمى بحق لعمارة

المجتمع المسلم و يترك مجال الإبداع الفكرى مفتوحاً أمام كل المعماريين و المتخصصين لتطوير الفكر المعمارى حسب ظروف كل بيئة و حسب إمكانات كل عصر .

نسأل الله سبحانه و تعالى أن يتقبل منا هذا الجهد المتواضع و أنْ ينفع به كل من يقرأه، و أن يجعلنا دائماً من القارئيين لكتابه الكريم، و المتفهمين لمعانيه، و المطبقين لأحكامه و تعاليمه .

" ربنا فاغفر لنا ذنوبنا و كفر عنا سيئاتنا و توفنا مع الأبرار"

مهندس معمارى
يحيى وزيرى

الفصل الأول
الحضارات المعمارية للأمم السابقة

المبحث الأول

حديث القرآن والسنة

عن بعض الحضارات المعمارية للأمم السابقة

يقول الله سبحانة و تعالى فى كتابه الكريم :-

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ (الروم).

قص علينا القرآن الكريم من خلال بعض سوره و آياته قصصاً لبعض من حضـارات الأمم السابقة .

و سنحاول إعطاء لمحة سريعة لما حوته هـذه الحضـارات مـن أساليب لعمارة الأرض ، و سنقوم بعرض هذه الحضارات تبعا للتسلسل الزمنى و التاريخى .

الإستيطان على الماء فى عهد سيدنا نوح :

لم تذكر آيات القرآن الكريم شيئا عن العمارة و التعمير على عهد سيدنا نوح، و لكن كما هو معروف فإنا أشهر حدث فى ذلك العهد هو بناء سيدنا نوح لسفينة ضخمة امتثالا لأمر الله سبحانه و تعالى و ذلك حتى يحمل فيها من آمن به من قومه ،

وعلى ذلك فإن سفينة نوح تعتبر أول مستوطنة على الماء فى تاريخ البشرية و يؤكد ذلك قوله تعالى :

﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ (القمر).

قال جماعة من المفسرين :"ارتفع المآء على أعلى جبل فى الأرض خمسة عشر ذراعاً، و هو الذى عند أهل الكتاب، و قيل ثمانين ذراعاً، و عم جميع الأرض طولها و العرض، سهلها و حزنها، و جبالها و قفارها و رمالها .....؛ [١]، و على ذلك فلقد غمر المآء المنهمر من السمآء و المتفجر من الأرض سطح الأرض كلها و أصبحت سفينة سيدنا نوح هى أول مستوطنة على المآء، و المقصود فى الآيات السابقة بالألواح أى الألواح الخشبية التى صنعت منها السفينة والدسر هى المسامير التى تم تجميع الألواح بها .

ويمكن أن نخرج من الآيات السابقة بلمحة وإشارة إلى إمكانية استخدام السفن والعوامات المائية كوحدات للإيواء أو كأماكن ترفيهية وسياحية وهو مانراه بالفعل متمثلا فى العوامات المائية الموجودة فى بعض المناطق على نهر النيل بالقاهرة .

* ولقد شرعت بلدية نيويورك فى بداية الثمانينات إلى دراسة برنامج لإنشاء قرية من الزوارق التقليدية تتألف من

---

(١) قصص الأنبياء، للحافظ ابن كثير .

مجموعة سكنية واسعة وعدد من الورش لأرباب الحرف اليدوية وكذلك متاجر ومقاهى ، والهدف من هذا البرنامج إصلاح شواطىء نيويورك وتنميتها .

أما فى كولومبيا تجرى دراسات لإمكانية تحويل عنبر الزورق إلى مستوصف يتسع لثلاثين سريراً ، مع تهيئة عدد من الزوارق وتجهيزها بمعدات متطورة لتصبح كغرف عمليات يمكن إجراء عمليات جراحية بداخلها ، وهكذا يساعد استخدام الوسائل النهرية على تجنب بناء المبانى على اليابسة ذات التكاليف الباهظة" .(١)

والدعوة تتجه الآن إلى توفير عدد كبير من هذه الزوارق حيث يتم استخدامها لتلبية مختلف الإحتياجات (السكنية والطبية والسياحية ولأغراض الإتصال) فلربما أدى ذلك إلى تحقيق الإقتصاد فى النفقات خاصة فى الدولة النامية التى تتوفر فيها المسطحات المائية ، ولكن يجب أن يراعى عند استعمال هذه العوامات المائية عمل الصرف الصحى لها خارج المسطحات المائية التى تقف عليها وذلك بتوصيل مواسيرها إلى شبكة الصرف الصحى الموجودة على البر وذلك حفاظاً على هذه المسطحات المائية من التلوث .

---

(١) مجلة رسالة اليونسكو، عدد ٢٦٨ سنة ١٩٨٣، من موضوع "زوارق و بشر" بقلم بنوا دلافون، بتصرف.

حضارة عاد التى لم يخلق مثلها فى البلاد :

يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ (الفجر) .

قبيلة عاد إحدى قبائل العرب العاربة، و كانوا يسكنون الأحقاف - وهى جبال الرمل - وكانت باليمن بين عمان و حضرموت بأرض مطلة على البحر يقال لها الشحر ، واسم واديهم مغيث [١].

وقد جاءوا بعد قوم نوح فى ترتيب الأمم و كانوا ممن زاغت قلوبهم بعد فترة الطوفان الذى طهر الأرض من الكافرين و العصاة، و لقد أشار القرآن الكريم إلى أنهم قد وصلوا إلى درجة عالية من الحضارة المعمارية لدرجة أن الله وصفها بقوله : "التى لم يخلق مثلها فى البلاد"، و قد كانوا كثيراً ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام [٢] و هذا تفسير قوله تعالى : "إرم ذات العماد" .

و لقد تحدثت آيات القرآن الكريم عن بعض من جوانب حضارتهم حيث يقول سبحانه و تعالى على لسان نبيهم سيدنا هود:

﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ (الشعراء) .

---

(١) (٢) قصص الأنبياء، لابن كثير .

و "الآية" هى الروعة فى البناء، و كانوا يبنون بكل مكان مرتفع بناء عظيما هائلا كالقصور و نحوها للعبث و المجون لا لعمل نافع أو اجتماع مفيد، كما أنهم اتخذوا المصانع، و هى جمع مصنعة و مصنع، و هى ما يقيمه الناس من سدود لحبس الماء و من أبنية كالبيوت و الحصون و القصور والقرى...[١]، قال قتادة : "مصانع أى مآجل للماء تحت الأرض" و كذا قال الزجاج :"انها مصانع للماء"، و قال الجوهرى : " المصنعة كالحوض يجتمع فيها مآء المطر" [٢] .

كما تشير الآيات الكريمة إلى أنهم كانوا أهل رعى و زراعة فلقد أمدهم الله بالأنعام و منّ عليهم بالعيون و الحدآئق و البساتين فهم على ذلك كانوا على جانب كبير من التقدم الحضارى.

الرفاهية العمرانية فى حضارة ثمـود :

"ثمود" قوم سيدنا صالح، و هم قبيلة مشهورة و كانوا عرباً من العاربة يسكنون "الحجر" الذى بين الحجاز و تبوك، و كانوا بعد قوم "عاد" و كانوا يعبدون الأصنام كذلك .

و لقد كان لهم حضارة عظيمة حيث اتخذوا القصور فى السهول حيث طبيعة البيئة و المناخ تختلف عن اتخاذ البيوت فى الجبال، فهم قد أقاموا أماكن صيفيه و أخرى شتوية لرفاهيتهم مما يعطينا فكرة عن الرفاهية العمرانية التى كانوا يعيشون فيها، حيث يقول سبحانه و تعالى :

---

(١) موسوعة العمارة الإسلامية، د/ عبد الرحيم غالب .

(٢) تفسير القرطبى.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ (الأعراف) .

و من الإشارات التى يمكن أن نلمحها من الآية الكريمة العلاقة بين المناخ و البيئة و أماكن اختيار المبانى سواء كان ذلك فى المناطق السهليه أو الجبلية .

و قد قال الإمام القرطبى : "اتخذوا البيوت فى الجبال لطول أعمارهم فإن الأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم" [١]، و فى ذلك المعنى يقول ابن كثير: "و قد ذكر أن قوم صالح كانت أعمارهم طويلة، فكانوا يبنون البيوت من المدر فتخرب قبل موت الواحد منهم ، فنحتوا لهم بيوتا فى الجبال" [٢] .

و لقد تحدثت العديد من الآيات عن اتخاذهم من الجبال بيوتا لأنفسهم بشدة قوتهم آمنين من أن تسقط عليهم أو تخرب، حيث يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾ (الحجر).

كما يقول سبحانه و تعالى :

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ (الشعراء).

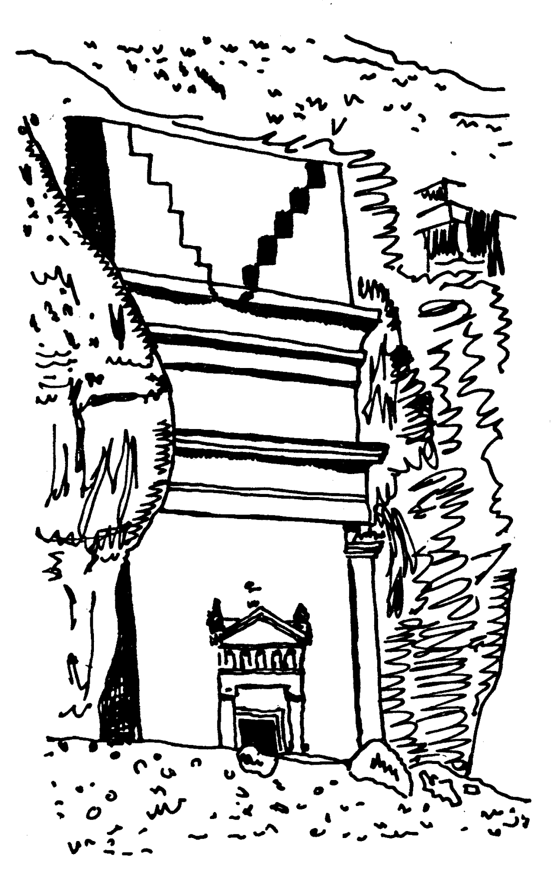
و قال أبو عبيدة : "فارهين" أى حاذقين بنحتها [٣] .

والآيتان السابقتان تلفتا نظرنا إلى جانب من الحضارة

---

(١)(٣) تفسير القرطبى .

(٢) قصص الأنبياء، للحافظ ابن كثير .



مبنى منحوت في الصخر بمدائن صالح

[العمارة على عهد ثمود]

المعمارية لقوم "ثمود" مما يفتح أفاقاً وأفكاراً تصميمية أمام المصمم المعاصر خاصة فى المناطق الجبلية وكيفية استغلالها ·

ولم تقتصر حضارة ثمود على ذلك بل حولوا السهول إلى جنات وارفة الظلال متنوعة الثمار وجمعوا بين الطبيعة الحضرية والطبيعة البدوية ، حيث يقول سبحانه وتعالـى:

﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ (الشعراء).

وفى الآية تعديد لبعض النعم ألتى أنعم الله عليهم بها حيث جعلهم فى أمن من المحذورات وأنبت لهم من الجنات وفجر لهم العيون الجاريات وأخرج لهم من الزروع والثمرات ، فالحضارة الحقه تتمثل فى الزراعة الواسعة التى يتوفر لها المآء من العيون والآبار والأمطار ·

وبالرغم من الرفاهية العمرانية والحضارية التى وفرها الله سبحانه وتعالى لقوم "ثمود" فلقد كذبوا نبيهم "صالح" وكفروا بأنعم الله ، فلقد قال الإمام أحمد فى مسنـده : "حدثنا عبد الصمد ، حدثنا صخر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر قال : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس على تبوك ، نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود ، فاستقى الناس من الآبار التى كانت تشرب منها ثمود ، فعجنوا منها ونصبوا القدور ، فأمر رسول الله فأهرقوا القدور ، وعلفوا العجين الأبل ، ثم ارتحل بهم حتى

نزل بهم على البئر التى كانت تشرب منها الناقة، و نهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا ، فقال :"إنى أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم"، والحديث رواه البخارى أيضا.

العمارة على عهد سيدنا ابراهيم :

إن أهم حدث معمارى فى عهد سيدنا إبراهيم بل وفى جميع العهود هو بناء الكعبة المكرمة حيث يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ (الحج).

حيث يخبرنا سبحانه وتعالى بأنه قد أرشد ودل سيدنا إبراهيم على مكان البيت العتيق الذى هو أول مسجد وضع للعبادة على الأرض ، أما عن بناء البيت فيقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ (البقرة).

والقواعد جمع قاعدة وهى السارية والأساس ، ويقول فضيلة الشيخ الشعراوى حول معنى هذه الآية :"ولابد هنا أن نفرق بين الرفع والبناء ..... إن البناء يستدعى ألا يوجد ثم يتم بناؤه بعد ذلك .... أما الرفع فهو الإعلاء والصعود أى أن البيت الحرام كان موجوداً قبل إبراهيم عليه السلام بطوله وعرضه لكن إبراهيم

عليه السلام أقام البيت أى جعل له ارتفاعا وصار بذلك له طول وعرض وارتفاع أى صار له حجم ."[١]

ولقد ظلت الكعبة المكرمة على بناء الخليل مدة طويلة ثم بعد ذلك بنتها قريش فقصرت بها عن قواعد إبراهيم من جهة الشمال مما يلى الشام على ما هى عليه اليوم ، فعن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحجر : أمن البيت هو ؟ قال : نعم ، قلت : فما لهم لم يدخلوه فى البيت؟ قال: إن قومك قصرت بهم النفقة ، قالت : فما شأن بابه مرتفعاً ؟ قال : فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ، ولولا أن قومك حديث عهد بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الحجر فى البيت وأن ألصق بابه بالأرض " متفق عليه .

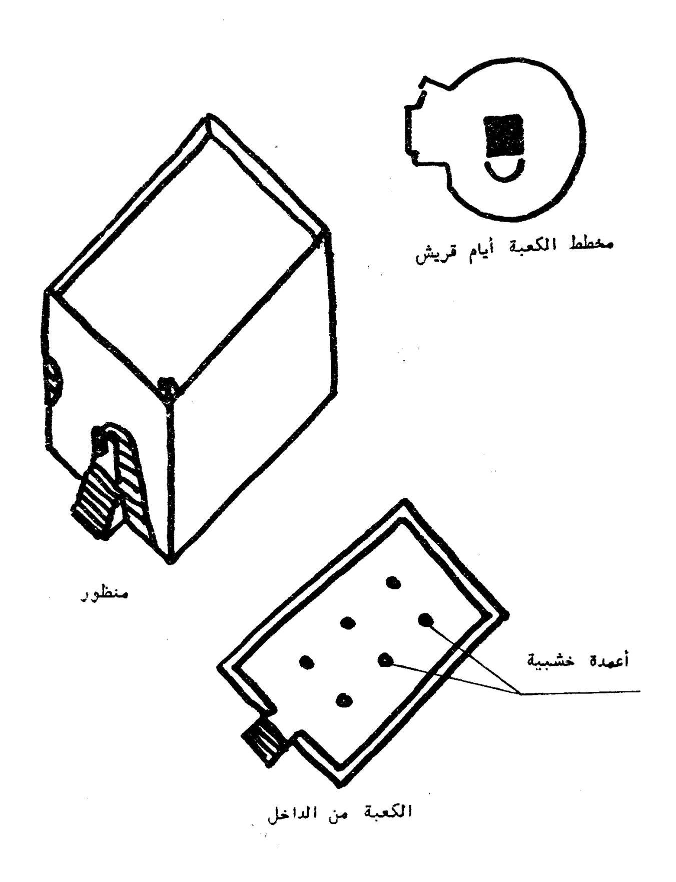
ويلاحظ أن ماورد فى الروايات القاضية بأن الحجر كله من البيت مقيد بروايات صحيحة منها رواية للبخارى عن عروة أن ذلك مقدار ستة أذرع وقد اجتمع من الروايات ما يدل على أن الزيادة فوق سته أذرع و دون سبعة .[٢]

وجدير بالذكر أن نوضح هنا أن الآية السابقة تحوى أيضاً إشارة إلى قواعد وأساسات المبانى حيث تعتبر أهم عنصر بالبناء من الناحية الإنشائية حيث تعتمد على الأساسات باقى عناصر المبنى من حوائط وأعمدة ، وتوضح لنا الآية الكريمة التالية اهمية

---

(١) خواطر الشيخ الشعراوى حول عمران المجتمع الإسلامى، جمع و تحليل المؤلف .

(٢) المنتخب من السنة النبوية، صادر عن مجلة منبر الإسلام .



الكعبة أول بيت وضع للناس

الأساسات والقواعد بالنسبة لأى مبنى ، حيث يقول سبحانه وتعالى:

﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ
ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ (النحل) .

فتوضح هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد أتى البنيان من القواعد وهى أصول البناء وإذا اختلت القواعد سقط البناء هذا من جانب ، كما تلفت الآية نظرنا إلى أن الأسلوب الأمثل لهدم المبانى يكون عن طريق القواعد والأساسات وإحداث الخلل فيها .

ويجب أن نوضح هنا أن القوم الذين مكروا وجاء ذكرهم فى الآية السابقة هم قوم النمرود بن كنعان، و النمرود هذا هو الذى كانت بينه وبين سيدنا إبراهيم مناظرة حيث ادعى الربوبية وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى :

﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ
أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى
بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى
كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ (البقرة).

قال ابن عباس وزيد بن أسلم وغيرهما :"إنه النمرود بن كنعان وقومه ، أرادوا صعود السمآء وقتال أهله ، فبنوا الصرح

ليصعدوا منه"، ومعنى :"فأتى الله بنيانهم" أى أتى أمره البنيان إما زلزلة أو ريحا فخربته" [١] .

جانب من الحضارة المعمارية على عهد فرعون موسى :

لا يستطيع أحد أن ينكر التقدم الحضارى المذهل الذى اتصفت به الحضارة على عهد الفراعنة ولا يزال الكثير من آثارها المعمارية باق وشاهد على التقدم المعمارى والإنشائى العظيم ويتمثل ذلك فى الأهرامات والمعابد والمسلات ومما يؤكد هذا التقدم أنه لا تزال توجد جوانب كثيرة لم تتكشف لنا عن كيفية بناء أهرامات الجيزة بالرغم من تقدم وسائل البحث و التنقيب فى عصرنا الحديث .

و لقد تحدثت آيات القرآن الكريم عن الحضارة المعمارية على عهد فرعون موسى حيث يقول الله سبحانه و تعالى :-

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ (غافر).

أى قال فرعون لوزيره هامان ابن لى قصراً عالياً و بناء شامخاً منيفاً ، و الصرح هو "القصر العالى و البناء العالى الذاهب فى السمآء و يعبر عنه المحدثون بناطحة السحاب "[٢] .

و فى الآية إشارة إلى بناء المبانى العاليه فى عصر الفراعنة مما يدل على مدى التقدم المعمارى فى حضارتهم .

و لقد عرف عن الفراعنة أنهم كانوا ينشئون ما شاءوا من الحجارة فكانوا يتخذون منها المعابد و المسلات و القبور و

(١) تفسير القرطبى .

(٢) المعجم الوجيز-مجمع اللغة العربية .

الاهرامات، كما يخبرنا القرآن الكريم بأنهم عرفوا أيضاً الآجر و هو الطين المحروق فى البناء، حيث يقول الله سبحانه و تعالى على لسان فرعون :

﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ من الآية ٣٨ (القصص)؛

أى فاطبخ لى يا هامان الآجر فاجعل لى منه قصراً شامخاً رفيعاً لعلى أشاهد إله موسى الذى زعم انه ارسله و إنى لأظن موسى كاذباً فى ادعائه أن فى السماء رباً قال قتادة : " هو «أى فرعون» أول من صنع الآجر و بنى به". [١]

و على ذلك فإن المفسرين يذكرون أن فرعون أول من صنع و عمل الآجر، و يمكن أن نقول بعبارة أخرى إن البناء بالآجر المحروق قد كان يومئذ فى طلائع استعماله، و من الجوانب الأخرى التى تناولتها آيات القرآن الكريم لحضارة فرعون موسى يظهر و يتضح فى قوله سبحانه و تعالى :

﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ (الزخرف).

" أى نادى فرعون رؤساء القبط و عظماءهم لما رأى الآيات الباهرة من موسى و خاف أن يؤمنوا، فقال مفتخرا متبجحا : أليست بلاد مصر الواسعة الشاسعة ملكا لى ؟ و هذه الخلجان و الأنهار المتفرعة من نهر النيل تجرى من تحت قصورى ؟ .

قال القرطبى : "و معظمها أربعة : نهر الملك، و نهر

---

(١) تفسير القرطبى .

طولون، و نهر دمياط، و نهر تينس ، و لكنها من النيل" ....،
و قال قتادة : كانت جنانا و أنهارا تجرى من تحت قصوره[١] .

و يمكن أن نفهم من الآية السابقة معنيين: الأول أن قصور فرعون كانت مبنيه على أماكن مرتفعة كالروابى مثلا و كانت فروع نهر النيل فى ذلك الوقت تجرى تحت و أسفل هذه الأماكن المرتفعة، "و ذلك لأن النيل، فى ذلك الوقت، إذا أقبل بفيضه فى الصيف امتد فغمر الأرض بمائه فظلت تحت الغمر أمدا يمتد ربع العام، و لذلك فقد عمد المصريون إلى إقامة بيوتهم من فوق رواب تعلو على الماء" [٢]، أما المعنى الثانى و هو أن يفهم من الآية الكريمة السابقة بأن الأنهار المتفرعة من نهر النيل كانت تجرى من تحت قصور فرعون بمعنى أنها تخترق بعضا أو أجزاء منها و أرى أن هذا يتناسب مع قول فرعون :"أفلا تبصرون" حيث كان يعتبر نفسه إلها فيجب أن يتميز على شعبه فلا يكفى



معابد فيلة

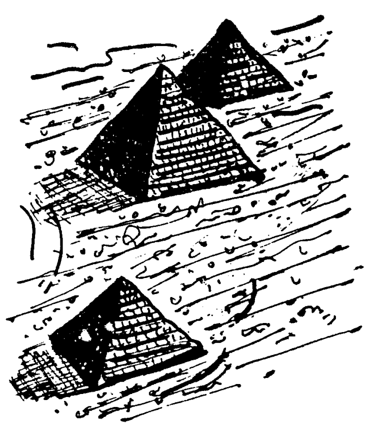
---

(١) تفسير القرطبى .

(٢) مصر فى القرآن و السنة، د/ احمد عبد الحميد يوسف .

أن تكون قصوره فى أماكن و روابى مرتفعة مثلهم بل و تخترق هذه الأنهار أيضاً قصوره و حدائقه المبنيه فوقها، و الله أعلم.

"و قد دل القرآن بتلك الآية و ما تشابه منها على ما أضل فرعون و أغواه فلم ير وعده موسى من فردوس الآخرة مزيدا على ما لديه من ملك فأرسل تساؤله متعجبا مستنكرا عما يبشر به جنات تجرى من تحتها الأنهار [١] و عنده مصر جنات تجرى من تحتها الأنهار" [٢] .



أهرامات الجيزة

(١) ارجع الى كتابنا "خواطر الشح الشعراوى حول عمران المجتمع الإسلامى" حيث فسر الشيخ الشعراوى قوله تعالى :{ جنات تجرى من تحتها الأنهار " بأن أنهار الجنة تجرى من تحت أبنية الجنات و زروعها، مما يعطى احتمالا للمعنى الثانى الذى قلنا به عن قول فرعون :" و هذه الأنهار تجرى من تحتى " .

(٢) مصر فى القرآن و السنة، د/ احمد عبد الحميد يوسف .

الحضارة المعمارية على عهد داود و سليمان :

استطاع سيدنا داود عليه السلام أن يقيم دولة فى أرض بيت المقدس و كانت تسمى فى ذلك الحين بأرض الكنعانيين - فلسطين حالياً - و لقد جمع الله له بين الملك و النبوة .

و عن العمارة فى عهد سيدنا داود نجد لمحة فى قول الله سبحانه و تعالى :

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾ (ص).

و المحراب هنا الغرفة لأنهم تسوروا عليه فيها، قال يحيى بن سلام و قال أبو عبيدة :"إنه صدر المجلس"، قال ابن عربى :"و كان محراب داود عليه السلام من الإمتناع بالارتفاع بحيث لا يرتقى إليه آدمى بحيلة إلا أن يقيم أياما أو أشهرا بحسب طاقته مع أعوان يكثر عددهم و آلات جمه مختلفة الأنواع."[١]

أما عن الحضارة المعمارية فى عهد سيدنا سليمان بن داود، فلقد حدثتنا آيات القرآن الكريم عن الأبنية العجيبة التى كانت فى حضارة سيدنا سليمان و كان الجن و الشياطين هم البنائين لها حيث يقول سبحانه و تعالى :-

﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾﴾ (ص).

فكان من الشياطين من قد سخر فى البناء و منهم من كان يأمر بالغوص فى الماء لاستخراج ما هنالك من الجواهر و اللآلئ، و قد ذكر القرآن الكريم بعضا من نماذج الأبنيه و القصور التى كان

---

(١) تفسير القرطبى .

يعملها الجن لسليمان فى قوله تعالى:-

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ﴿١٣﴾ (سبأ).

و المحراب فى اللغة كل موضع مرتفع، و قال مجاهد : المحاريب دون القصور، و قيل: ما يرقى إليه بالدرج كالغرفة الحسنة[١].

و لقد أعطانا القرآن الكريم وصفاً لواحد من هذه الأبنيه العجيبة و هو الصرح الذى شيده سيدنا سليمان لاستقبال بلقيس ملكة سبأ حيث يقول سبحانه و تعالى :

﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾ من الآية ٤٤ (النمل).

و عن أبى عبيدة : الصرح القصر، و قال مجاهد : كان الصرح صحنا من زجاج تحته ماء و فيه الحيتان عمله ليريها ملكا أعظم من ملكها، و قال قتادة : كان من قوارير خلفه ماء، " حسبته لجة " أى ماء، و حكى أبو عبيدة : أن الصرح كل بناء عال مرتفع عن الأرض و أن الممرد الطويل، و الممرد المحكوك الأملس و منه الأمرد. [٢]

و تشير الآية الكريمة السابقة للحضارة المعمارية العظيمة التى كانت فى عهد سيدنا سليمان و ذلك من خلال أحد الصروح المعماريه التى صممت و نفذت من الزجاج الأملس الصافى و جريان الماء من تحت هذا الزجاج للدرجة التى يعتقد فيها الداخل لهذا

---

(١) (٢) تفسير القرطبى .

الصرح أن به لجة من ماء، و هو أحد النماذج المعماريه النادرة التى يتضح فيها قمة الجمال المعمارى كأروع ما يكون .

و لقد ذكر عبد الله بن بريدة أن داود و سليمان قد قاما ببناء بيت المقدس عند تفسيره قوله تعالى :

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾ (النور) .

حيث قال :" إنما هى أربعة مساجد لم يبنهن إلا نبى، الكعبة بناها إبراهيم و إسماعيل و بيت أريحا بيت المقدس بناه داود و سليمان و مسجد المدينة و قباء اللذين أسسا على التقوى بناهما الرسول عليه الصلاة و السلام" . [١]

و لكن يرجح ابن كثير أن سليمان جدده فقط و أن أول من جعله مسجدا هو اسرائيل عليه السلام[أى سيدنا يعقوب][٢]

و لقد قال الإمام أحمد و النسائى و ابن ماجه و ابن خزيمه و ابن حبان و الحاكم بأسناديهم عن عبد الله بن فيروز الديلمى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :" إن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز و جل خلالا ثلاثا، فأعطاه اثنتين ..." إلى آخر الحديث. [٣]

و الشاهد فى الحديث النبوى هو ذكر بناء سليمان لبيت المقدس، و إن كان لا يشترط أن يكون المقصود بالبناء هنا هو

---

(١) تفسير القرطبى.

(٢)،(٣) قصص الأنبياء للحافظ ابن كثير .

أول بناء له فربما كما قال ابن كثير كان تجديداً لما سبق أن قام به سيدنا يعقوب، أو أن يكون إعادة بنائه بعد أن تهدم، و الله أعلم .

مما سبق يتضح لنا أن القرآن الكريم قد ذكر لنا العديد من الحضارات المعمارية لبعض الأمم السابقة، و قد كانت بعض من هذه الأمم مؤمنة طائعة لربها متبعة للرسل و الأنبياء، كما كانت بعضها كافرة و عاصية لله لذلك فإن القرآن الكريم لم يغفل عن ذكر ما حدث لهذه الأمم رغم ما بلغته من حضارة و تقدم و هذا ما حاولنا أن نوضحه فى المبحث التالى لنأخذ الدروس و العبر ممن حدث لهذه الأمم الظالمة .

المبحث الثانى

الظلم سبب لزوال العمران

طاعة الله و شكره هى سبب فى عدم زوال نعمه، بل الشكر يكون سببا فى زيادتها، و فى مجال التعمير و العمران يؤكد القرآن الكريم على حقيقة أساسيه و هى أن الظلم و ارتكاب المعاصى و الكفر بالله من أهم أسباب حلول الخراب و إهلاك القرى و الأمصار مهما بلغت من قوة و عظمة، و الآيات الداله على ذلك كثيرة و نذكر فى مقامنا هذا بعضاً منها حيث يقول سبحانه و تعالى :

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ
عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ (الحج).

﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ (القصص).

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ (هود).

فالظلم هو السبب الأساسى لزوال العمران أو خراب الديار و يكون الجزآء الإنتقام الإلهى فى الدنيا و الآخرة، حيث يقول تعالى :

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ
الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ من الآية ٤٠ (العنكبوت).

و تصبح هذه القرى و المجتمعات العمرانية الظالمة عبرة لمن بعدها من الأمم، حيث يقول سبحانه و تعالى :

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ٣٨ ﴾ (العنكبوت).

ثم يأتى الأمر الإلهى بالسير و النظر و الاعتبار بحال هذه القرى الظالمة و كيف كانت عاقبتهم، حيث يقول سبحانه و تعالى :

﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾ من الآية ٩ (الروم).

و يقول الشيخ الشعراوى فى خواطره حول القرآن الكريم تحت عنوان لماذا بقيت آثار فرعون :" بالنسبة إلى ثمود إذا ذهبنا إلى مدآئن صالح فى السعوديه نجد آثار ثمود و قد حفروا بيوتهم فى صخور الجبال .. و نحن نرى أمامنا آثار فرعون كلها مسلات ضخمه و أعمده عاليه و أهرامات مرتفعة، أما عاد فان الله سبحانه و تعالى قد طمس آثارها فلم نعثر منها على شيء حتى الآن و على أية حال فإن كل حضارة من هذه الحضارات قد طمست آثارها، و إن وجد لها أثر فهو لا يدل على شيء إلا آثار فرعون التى يأتى إليها الناس من أنحاء الدنيا كلها ليتعجبوا من جمال البناء و فن البناء و هندسة البناء .. و كيف نقلت هذه الأحجار الضخمه إلى الأماكن العليا فى الأهرامات بدون سقالات .. و كيف ارتبطت الأحجار كلها مع بعضها البعض هذه السنوات

الطويلة دون استخدام الأسمنت أو غيره من مواد التثبيت للأحجار، بل تم ذلك بتفريغ الهواء[١]، فكيف استطاعت الهندسة العجيبة أن تفرغ بين حجرين كبيرين ضخمين ليلتصقا ببعضهما البعض إلتصاقاً لا يستطيع احد أن يزحزحه ذلك أن تفريغ الهواء بين أحجار الأهرامات جعلها تلتصق بغير لاصق، فإن كانت حضارة الفراعنة قد وصلت إلى هذا الفن الهندسي في البناء باستخدام تفريغ الهواء بين أثقال ضخمة تكون هذه الحضارة راقية جدا .. هذا إذا نظرت إلى فن البناء فقط .."ثم يكمل حديثه في موضع آخر قائلا :" أين ذهب صناع هذه الحضارات و قد بلغوا سقف الدنيا في عصرهم؟ لابد أن قوة أعلى منهم دكتهم، و لكن لماذا أتى الله بآل فرعون في هذه الآيه بالاسم؟ بينما أتى بالحضارات التي كانت قبلهم إجمالا فقال تعالى: "كدأب آل فرعون و الذين من قبلهم "، لأن آثار آل فرعون قد كشف الله عنها و رغب فيها البشرية كلها ليأتوا و يروا تلك الحضارة الهائلة التي لم تستطع أن تحمي نفسها و ذلك الذي ادعى أنه إله و لم يستطع أن يضمن لنفسه البقاء، الله سبحانه و تعالى يريد من البشر جميعاً أن يأتوا ليشهدوا هذه الحضارة و ما وصلت إليه ثم يرون أن الله قد أهلك أصحابها و أصبحوا أثرا بعد عين ليعرفوا أن القوة لله جميعا"[٢]، لذلك فالاعتبار بما حدث للأمم السابقة و التي ظلمت نفسها بالكفر و عدم طاعة الله واجب علينا و نحن نعمر

(١) هذه هي احدى نظريات بناء الأهرام و لا يمكن الجزم بصحتها .

(٢) خواطر الشيخ الشعراوي حول عمران المجتمع الإسلامي، جمع و تحليل المؤلف .

الأرض، أما بعد تعمير الأرض فإنه لا يجب أن نفتتن بمساكننا و نرضى بها بحيث تكون أحب إلينا من طاعة الله و رسوله، وإلا لا نكون قد اعتبرنا بما حدث للأمم السابقة و يحذرنا الله سبحانه و تعالى من هذا بقولـه :

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ (التوبة).

و على ذلك فإن طاعة الله و رسوله و إقامه المجتمع الإسلامى الذى يهتدى بشرع الله و أوامره هو أكبر ضمان و أعظم حافظ للعمران من الخراب و الهلاك، كما يجب أن نتخلق بأخلاقيات الإسلام و أن ينعكس ذلك على العمران فى البلاد الإسلاميه، و يؤكد الشيخ الشعراوى فى خواطره حول القرآن الكريم على أنه يمكن معرفة أخلاق العصر من مبأنيه حيث يقول :
" و لذلك إن أردت أن تعرف خلق و أخلاق أى عصر و استقامته أو آفاته فى تصريف الحركه .. فلننظر إلى المعمار فى هذا العصر، و المعمار هو المبانى التى نراها، و على سبيل المثال نحن نجد فى القاهرة مبنى السجل العقارى قد تم بناؤه من عشرات السنين و كذلك محكمة النقض و أيضاً مبنى هيئة البريد

كل هذه المبانى قديمه و لكنها تحتمل الناس فيها ...
بينما المبانى فى العصر الحديث نجدها عكس ذلك، و نحن نسمع و نقرأ عن المبانى التى تنهار و الضحايا الذين تستخرج جثثهم من تحت الأنقاض.. لماذا كل هذا؟ ما منشأ كل ذلك ؟ إنه من أكل المال بالباطل ... ينظر الإنسان إلى عماره لم يتم تسليمها بعد لسكانها و نجد دورة المياه و أساليب الصرف الصحى فاسدة، أو نجد الشرفات على وشك الإنهيار و كذلك السلم الذى لم يصعد عليه أحد بعد.. إن ذلك كله من أكل الأموال بالباطل و أمير الشعراء أحمد شوقى نظر إلى هذه المسألة و رأى أن قياس أخلاق الناس يمكن النظر إليه من خلال المعمار فقال :

و ليس بعامر بنيان قــوم   إذ أخلاقهم كانت خرابا".[1]

من ذلك نجد أن العوده إلى تعاليم ديننا و أخلاقياته هى السبيل إلى الحياة الطيبة فى الدنيا و الآخره و هى السبيل إلى عمران إسلامى معاصر و يكون ذلك بأن يحاول المعماريون المسلمون تطبيق القيم الإسلاميه فى المبانى التى يصممونها .

و القيم الإسلاميه تستقى أساسا من مصدرين أساسين وهما القرآن الكريم و السنة النبوية حيث يتم من خلالهما معرفة الأسس و المعايير الواجب اتباعها عند عمارة الأرض و عند تعمير المجتمعات البشرية و هذا ما سوف نحاول أن نوضحه فى الفصول القادمة من هذه الدراسة .

---

(١) المرجع السابق .

الفصل الثانى

الانسان و المأوى

[المسكن - القبر - مساكن أهل الجنة]

تمهيد

حاجة الإنسان للمأوى

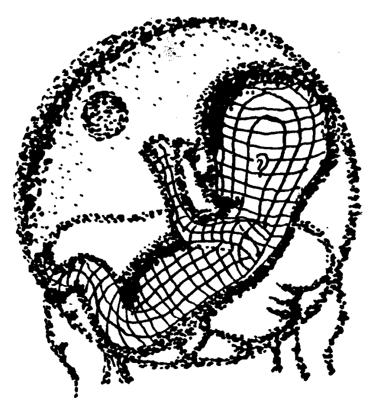
المأوى هو أول شيء يحتاج إليه الإنسان فى حياته و هو سنة من سنن الله سبحانه و تعالى، فطالما وجد الإنسان وجد المأوى و هذه سنة الله منذ بدء الخليقة إلى أن يرث الأرض و من عليها .

و أول مأوى للإنسان و هو جنين بطن أمه و ذلك بعد تكوينه الخلقى حيث يخبرنا بذلك سبحانه و تعالى فيقول :

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ من الآية ٣٢ (النجم).

و نظراً لأن الجنين فى بطن أمه ليس له حول و لا قوة فلقد وفر الله له أسباب الحياة داخل هذا المأوى الطبيعى و كيّف هذا المأوى الآدمى حتى يأذن الله سبحانه و تعالى بولادة هذا الجنين، و البشر متساوون جميعاً فى مأواهم الأول داخل بطون أمهاتهم سواء منهم من سيكون مؤمنا أو كافراً و هذا من رحمة الله بعباده .

و بعد خروج الجنين إلى الحياة الدنيا يلزمه مأوى من نوع آخر يعيش فيه حياته التى قدرها الله له و هى عبارة عن المساكن و البيوت التى يبنيها البشر لأنفسهم و لقد ملأ الله الأرض بالخامات و المواد اللازمة لبناء هذه المساكن و البيوت و بعد ذلك ينتقل إلى حياة أخرى ألا و هى الحياة البرزخيه حيث



الجنين فى بطن أمه

[أول مأوى للإنسان]



"قرية مطماطة بتونس"

من أشكال المأوى في الحياة الدنيا

يقول سبحانه و تعالى :

﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ من الآية ١٠٠ (المؤمنون).

و هذه الحياة يلزمها نوع آخر من المأوى ألا و هو القبر حيث يقول سبحانه و تعالى :

﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ (عبس).

و هذا القبر إما أن يكون روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار كما أخبرنا بذلك رسولنا الكريم عليه الصلاة و السلام و هذا حسب إيمان صاحب القبر بالله و عمله فى الحياة الدنيا، و عندما تحين الساعة و يحاسب الله البشر ففريق فى الجنة و فريق فى السعير حيث يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ (النازعات).

و بدخول المؤمنين الجنة فستكون هناك القصور و الغرف المعدة لهم حيث يقول سبحانه و تعالى :

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ ﴾ من الآية ١١ (التحريم).

﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ (الزمر).

فعلى ذلك منذ نفخ الروح فى الإنسان و هو جنين فى بطن أمه

إلى أن يستقر مخلداً إما فى الجنة إن كان طائعاً أو فى النار إن كان كافراً عاصياً لله يحتاج للمأوى و لا يستطيع الإستغناء عنه.

+++++++

و فى هذا الفصل سنحاول أن نوضح العلاقة بين الإنسان و المأوى من آيات القرآن الكريم و السنة النبوية و ذلك فى أربعة مباحث و هى :

الأول : المأوى كمسكن فى الحياة الدنيا .

الثانى : المأوى فى الحياة البرزخية «القبور» .

الثالث : المأوى فى الحياة الآخرة «مساكن أهل الجنة» .

الرابع : تأثير المنهج الإسلامى على عمارة المسكن من الداخل و الخـــــارج ، ... و سنحاول أن نوضح فيه كيف يمكن للمسلم فى الحياة الدنيا أن ينشىء مسكنه بحيث لا يتعارض مع منهج الله النابع من القرآن الكريم و السنة النبوية .

المبحث الأول
حديث القرآن و السنة
عن المأوى كمسكن فى الحياة الدنيا

مما سبق رأينا إحتياج الإنسان للمأوى منذ نفخ الروح فيه و هو جنين فى بطن أمه إلى أن يخلد إما فى الجنة أو النار، و الإنسان فى حياته الدنيا يحتاج للمأوى ليزاول فيه و من خلاله جميع أوجه النشاط فى حياته الدنيوية، و سنحاول فى هذا المبحث أن نوضح مواصفات و أشكال و فوائد المأوى و أهم عناصره و المواد الإنشائية و المعمارية التى يبنى بها .

حديث القرآن و السنة عن مواصفات المأوى :

إن أى مكان يتخذه الإنسان ليأوى إليه يجب أن يتصف بحد أدنى من المواصفات حتى يمكن أن يطلق عليه لفظ "مأوى".

و من هذه المواصفات أن يحمى المأوى ساكنيه من البرد و الحر و قسوة المناخ الخارجى، و نلمح هذه الإشارة فى قول الله سبحانه و تعالى :

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ٤١ (العنكبوت) .

أى مثل الذين اتخذوا من دون الله أصناماً يعبدونها فى اعتمادهم عليها و رجائهم نفعها كمثل العنكبوت فى اتخاذها بيتاً لا يغنى

عنها فى حر و لا برد و لا مطر و لا أذى.[١]

و جدير بالذكر أن ننبه هنا إلى أن الله قد أودع فى العنكبوت مهارات خاصة تمكنه من نسج خيوط بأسلوب هندسى حاذق و بأشكال مختلفة تتناسب مع طبيعة المكان الذى ينسج فيه بيته بالرغم من ضعف و وهن هذا البيت كما ذكرت الآية الكريمة فهذا بالنسبة لنا أما بالنسبة للعنكبوت فهو يتناسب و يتلاءم معها .

و تشير الآية الكريمة السابقة إلى بعض من مواصفات المأوى التى يجب أن يتصف بها حتى يفى بوظيفته فيجب أن يحمى ساكنيه من الحر و البرد و يوفر لهم الأمان النفسى و المعنوى، و إن لم يتصف بهذا الحد الأدنى من المواصفات فلا يستحق أن يطلق عليه لفظ البيت أو المأوى، و لقد أشارت السنة النبوية إلى هذا المعنى فلقد روى ابن ماجه عن ابن عمر قال:" لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه و سلم بنيت بيتاً يكننى من المطر و يكننى من الشمس ما أعاننى عليه خلق الله تعالى " .

و الشاهد فى الحديث النبوى قول ابن عمر أن البيت الذى بناه مع رسول الله صلى الله عليه و سلم يحفظه من المطر و الشمس و كأنه بذلك قد ذكر الحد الأدنى من المواصفات التى يجب أن يتصف بها أى مأوى .

و لما كانت بلاد العرب شديدة الحر و حاجتهم إلى الظل

---

(١) تفسير القرطبى .

و دفع الحر شديدة فلقد ذكر الله سبحانه و تعالى هذه المعانى في قوله :

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ (النحل).

حيث يوضح سبحانه و تعالى بأنه قد جعل مما خلق من الشجر و الجبال و الأبنيه و غيرها ظلالا يتقى بها الإنسان حر الشمس، كما جعل فى الجبال مواضع للسكن كالكهوف و الحصون، "و الأكنان جمع كن : و هو ما يرد الحر و البرد من الأبنية و المساكن". [١]

ثم تعطى لنا إحدى آيات سورة الكهف مثالا لأهمية توفير الظلال بالمأوى حيث يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ (الكهف).

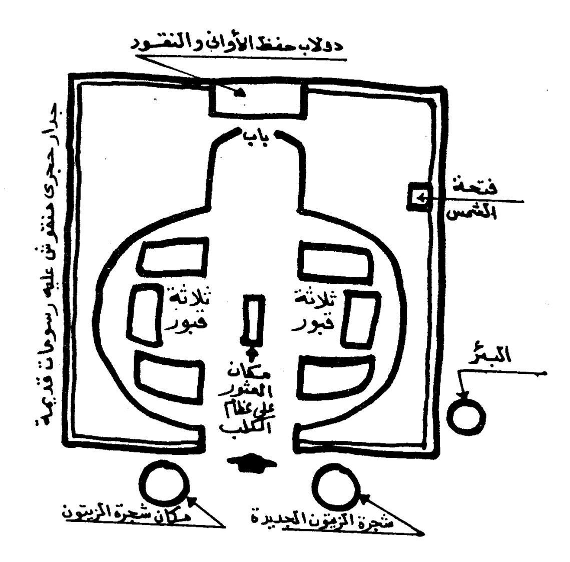
و يقول الإمام الشوكانى : للمفسرين فى تفسير هذه الآية قولان: "الأول انهم مع كونهم فى مكان منفتح انفتاحاً واسعاً فى ظل جميع نهارهم و لا تصيبهم الشمس فى طلوعها و لا فى

---

(١) موسوعة العمارة الإسلامية .



أشكال مختلفة لبيت العنكبوت



مسقط أفقى لكهف الرقيم بالأردن

و الذى يرجح أنه الكهف المذكور فى القرآن الكريم

غروبها لأن الله حجبها عنهم، و الثانى أن باب الكهف كان مفتوحا جهة الشمال فإذا طلعت الشمس كانت عن يمين الكهف و إذا غربت كانت عن يساره، و يؤيد القول الأول [ذلك من آيات الله] فإن صرف الشمس عنهم مع توجه الفجوه إلى مكان تصل إليه عادة أنسب بمعنى أنها آية، و يؤيد أيضا القول الأول إطلاق الفجوة و عدم تقييدها بكونها إلى جهة كذا."[١]

ومن ذلك نلمح لفتة جليلة من الآية السابقة حيث توضح أن الله سبحانه وتعالى قد صرف الشمس عن أهل الكهف [٢] وذلك حتى يكونوا فى الظل باستمرار فلا يتأثروا بحرارة وأشعة الشمس الحارقة .

وعلى ذلك فإننا نجد إشارة فى الآيتين السابقتين إلى أهمية توفير الظلال بالمأوى خاصة فى المناطق الحارة لأن هذا من نعم الله على عباده ، مما يدعو المصممين إلى الإهتمام بتوفير هذه الظلال على واجهات المبانى السكنية من خلال عمل البروزات المدروسة وبأسلوب معين لتحقيق ذلك ، ومن ناحية أخرى فيجب أن يحرص المخططون على توفير هذه الظلال فى شوارع المدن والمناطق المفتوحة باستخدام الأشجار والمظلات وما شابه .

كما يلفت القرآن الكريم أنظارنا الى أهمية دراسة الموقع قبل بناء المأوى وذلك للاستفادة من ظروف البيئة المتواجدة عند التصميم ونلمح ذلك فى قوله سبحانه وتعالى :

---

(١) فتح القدير، للإمام الشوكانى .

(٢) قامت جريدة اللواء الإسلامى عدد "٥٧٠٥٦" سنة ١٩٨٣ تحقيقاً عن مكان الكهف الذى ورد ذكره فى سورة الكهف، و قد رجح بعض علماء الدين و =

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ ﴾ (مريم).

أى اتخذت مكانا من جانب الشرق وهو المكان الذى تشرق فيه الشمس، و إنما خص المكان بالشرق لأنهم كانوا يعظمون جهة المشرق من حيث تطلع الأنوار، و كانت الجهات الشرقية من كل شيء أفضل من سواها، حكاه الطبرى.[١]

و من العناصر الهامة الواجب توفرها فى المسكن هو أن يوفر لساكنه الحماية و عامل الأمن و الأمان و ذلك لأنه يمثل بالنسبة للإنسان الملجأ فى حالة وجود أية أخطار خارجيه أو عوامل طبيعية غير مناسبة .

و الله سبحانه و تعالى يضرب لنا الأمثلة بالحشرات و كيف أن المسكن يعتبر ملاذاً لها فى أوقات الخطر حيث يوفر لها الحماية و الأمان، حيث يقول سبحانه و تعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (النمل).

فالآية الكريمة تبين لنا أن إحدى النملات قالت لرفيقاتها أدخلوا بيوتكم حتى لا يكسرنكم سليمان و جيوشه بأقدامهم و هم لا يشعرون بكم، مما يدل على أن المأوى يعتبر الملجأ فى وقت الخطر و هذا بالنسبة لمخلوق و حشرة مثل النملة ، فما بالنا بالإنسان الذى كرمه الله على جميع خلقه وأنعم عليه بنعمة المأوى

=الآثار أن الكهف المذكور فى القرآن الكريم يقع فى جبل "الرقيم" بالأردن و الذى يبعد عن عمان بمسافة سبعة كيلو مترات حيث وجدوا أنه ينطبق عليه ما ورد فى آيات سورة الكهف، و الله أعلم.

(١) تفسير القرطبى.

والمسكن ، ويتضح لنا أهمية توفر عامل الأمن والأمان فى المسكن من خلال ما تشير إليه إحدى آيات القرآن الكريم من سورة الأحزاب حيث يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ (الأحزاب) .

إذ قالت جماعة المنافقين يا أهل المدينة لاقرار لكم هنا ولا إقامة فارجعوا إلى منازلكم واتركوا محمد وأصحابه ، ويستأذن جماعة المنافقين النبى صلى الله عليه وسلم فى الانصراف متعللين بعلل واهية وهى أن بيوتهم غير حصينة يخافون عليها العدو والسرقة ·

وإذا كانت الآية الكريمة توضح لنا أن المنافقين كاذبون فى ادعائهم بأن بيوتهم عورة ولكن هذا لا ينفى أنهم اختاروا حجة يمكن أن تكون سببا مقبولا وهى خوفهم على بيوتهم من العدو والسرقة ، ومن ذلك فإن الآية تعطينا إشارة إلى أهمية توفير الأمن والحماية لساكنى البيوت ومستعمليها ·

حديث القرآن و السنة عن أشكال المأوى :

عندما نبحث فى آيات القرآن الكريم نجد أن شكل المأوى فى الحياة الدنيا يتنوع تنوعا كبيرا حسب ظروف البيئة التى يقام فيها وحسب ظروف الإستعمال ، فيمكن للإنسان أن يأوى

للأشكال الطبيعية كالصخرة أو الجبل أو الربوة ، حيث يقول سبحانه وتعالى:

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ (الكهف).

﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ (هود).

﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ (المؤمنون).

و لقد ورد في مراجع و كتب تاريخ العمارة أن الإنسان البدائي كان يأوي إلى بعض من الأشكال الطبيعة كالصخور أو الحجارة وذلك في بداية الحياة الإنسانية على وجه الأرض.

كما أشارت العديد من الآيات القرآنية إلى أن هذه الأشكال الطبيعية تستخدم احيانا كمأوى في أوقات الشدة والخطر ، ونذكر من هذه الآيات ما يلي :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ

﴿... ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ (التوبة).

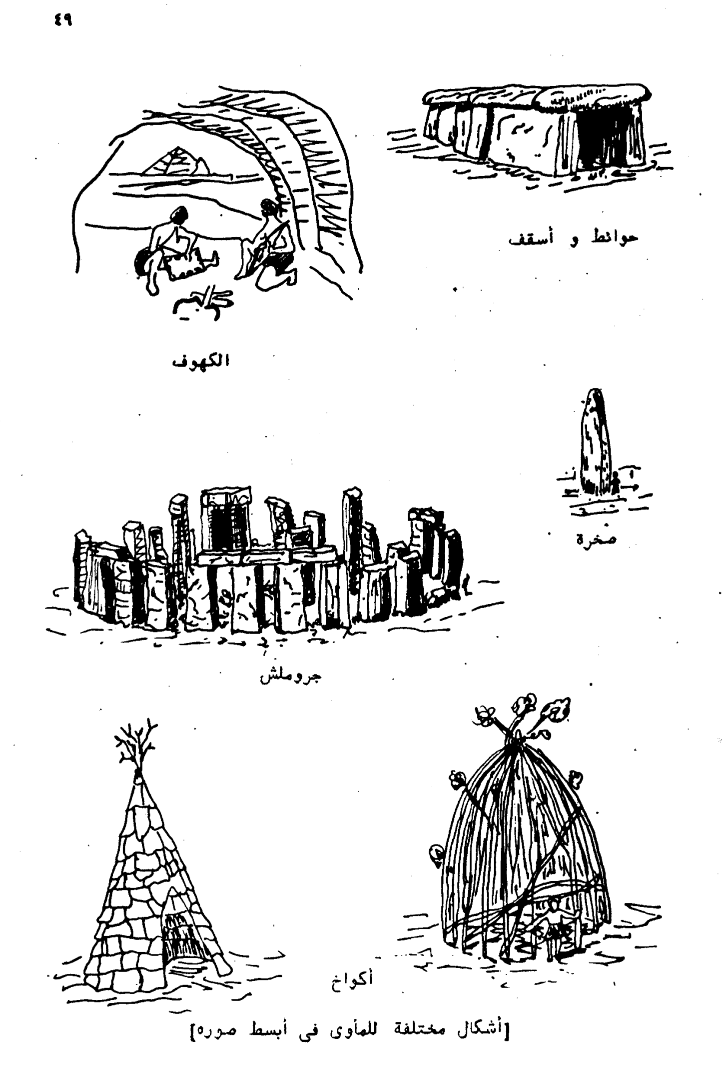
وفى الآية إشارة إلى الغار أى "غارثور" والذى لجأ إليه الرسول عليه الصلاة والسلام وأبى بكر الصديق أثناء رحلة الهجرة ليختفيا من كفار مكه والذين كانوا فى أعقابهم ، كما يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ (التوبة).

والآية فيها ذكر للملجأ والمغارات والمدخل أى المسلك الذى يختفى بالدخول فيه وهى كلها أماكن تصلح للاختباء والاختفاء ، كما يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ (الكهف).

وتشير الآية إلى الفتية الذين التجئوا للكهف خوفاً من قومهم الكافرين ، وفى الآيات إشارة إلى بعض من أنواع المأوى والتى يمكن أن يلجأ اليها البشر فى أوقات الشدة والخطر ومنها الغيران والكهوف والملاجىء وما شابه ، ومثال ذلك فى عصرنا الحديث المخابىء المعدة للمدنيين للإحتماء بها وقت الحروب والغارات الجوية .



[أشكال مختلفة للمأوى فى أبسط صوره]

ولقد أشارت أيضاً السنة النبوية إلى أماكن الإختباء والإحتماء والإيواء المؤقت إلى الأشكال الطبيعية فعن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ٠٠٠٠٠" [١] إلى آخر الحديث ، وهو حديث متفق عليه ، والشاهد فى هذا الحديث هو لجوء ثلاثة نفر الى الغار كمأوى مؤقت للمبيت والاحتماء به من الظروف الخارجية ٠

ثم أوضح لنا القرآن أن الإنسان مع تقدم الحضارة يمكن أن يتعامل مع هذه الأشكال الطبيعية ويهيئها متخذاً منها البيوت حيث يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ۝٨٢ ﴾ (الحجر) .

مثل قوم "ثمود" حيث كانوا يتخذون من الجبال بيوتاً لأنفسهم بشدة قوتهم آمنين من أن تسقط عليهم أو تخرب ٠

أو أن يتخذ البشر من جلود الأنعام مساكن وبيوتا كالخيام والقباب فيقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَـٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَـٰثًا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝٨٠ ﴾ (النحل)٠

---

(١) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، للإمام النووى .

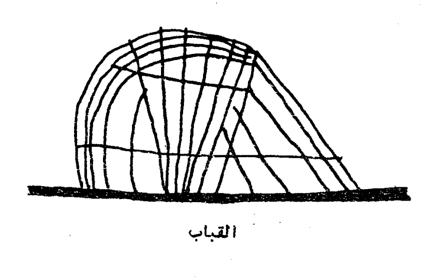
فكل ما علاك فأظلك فهو سقف وسماء ، وكل ما أقلك فهو أرض ، وكل ما سترك من جهاتك الأربع فهو جدار ، فإذا انتظمت واتصلت فهو بيت ... ، والآية الكريمة السابقة من سورة النحل فيها تعديد لنعم الله تعالى على الناس فى البيوت فذكر سبحانه وتعالى أولا بيوت المدن وهى التى للإقامة الطويلة وقوله " سكناً " أى تسكنون فيها وتهدأ جوارحكم من الحركة ، ثم ذكر بعد ذلك بيوت النقله والرحله وهى :" وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها" أى من الأنطاع والأدم "بيوتاً" يعنى الخيام والقباب يخف عليكم حملها فى الأسفار ، وقال أبى زيد الأنصارى : "أثاثاً" الأثاث متاع البيت واحدها أثاثه ، وقال الأموى : الأثاث متاع البيت وجمعه آثه وأثث ، أى جعل لكم من صوف الغنم ووبر الإبل وشعر الماعز ما تلبسون وتفرشون وتتمتعون بها إلى حين الموت أو أن تبلى .[1]

ولقد روى البخارى فى صحيحه قال :حدثنا محمد بن عرعرة قال حدثنى عمر بن أبى زائدة عن عون بن أبى جحيفه عن أبيه قال :" أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى قبه حمراء من أدم ، ورأيت بلالا أخذ وضوء النبى صلى الله عليه وسلم والناس يبتدرون الوضوء فمن أصاب منه شيئا تمسح به ، ومن لم يصب منه شيئا أخذ من بلل يد صاحبه" .

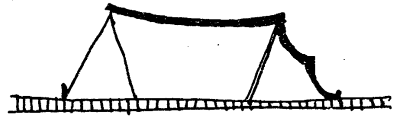
والشاهد فى الحديث النبوى هو اتخاذ الرسول عليه الصلاة

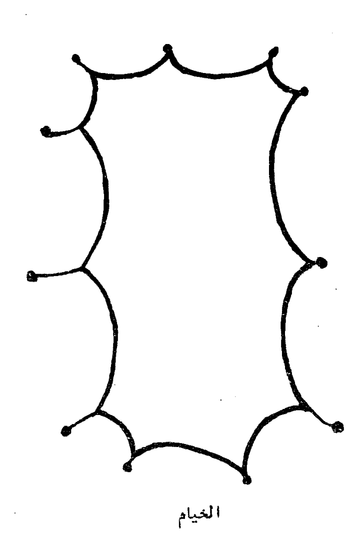
---

(١) تفسير القرطبى.



القباب





الخيام

[من نماذج بيوت النقلة و الترحال]

والسلام قبه حمرآء من أدم وهى إحدى نماذج بيوت النقله والترحال ·

ومن أشكال المأوى الأخرى التى تتميز بالثبات وطول العمر الحجرات والغرف وعادة ما يستعمل لفظ الغرفة والحجرة للدلالة على معنى واحد ولكن يوجد فرق دقيق بين اللفظين يحسن أن نتعرف عليه ·

فالغرفة :"العلية ، وهى الحجرة فى الطبقة الثانية من الدار وما فوقها"[١]أما الحجرة :"القاعة فى أسفل البيت"[٢].

ولقد فرقت آيات القرآن الكريم فى المعنى بين الغرفة والحجرة ، ويتضح لنا ذلك من خلال قوله سبحانه وتعالى :

﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ (الزمر).

فيخبر الله عز وجل عن عباده السعداء أن لهم غرفا فى الجنة وهى القصور الشاهقة ومعنى [من فوقها غرف مبينه] أى طباق فوق طباق مبنيات محكمات مزخرفات عاليات ·

أما عن الحجرات فيقول الله سبحانة وتعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ (الحجرات).

أى إن الذين يدعونك [أى يدعون الرسول الكريم] من ورآء الحجرات ، منازل أزواجك الطاهرات أكثرهم لا يعقلون ·

---

(١) (٢) المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية .

فالحجرة : هى الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها، ولقد روى الإمام البخارى فى كتابه الأدب المفرد حديثا فيه وصف لحجرات الرسول عليه الصلاة والسلام حيث قال : بالسند عن عبد الله قال : أخبرنا داود بن قيس قال :"رأيت الحجرات من جريد النخل مغشياً من خارج بمسوح الشعر وأظن عرض البيت من باب الحجرة إلى باب البيت نحواً من ست أو سبع أذرع ، وأحزر البيت الداخل عشر أذرع ، وأظن سمكه بين الثمان والسبع [نحو ذلك] ووقفت عند باب عائشة ، فإذا هو مستقبل المغرب" .

ومع رقى العمران يتخذ البشر القصور والبيوت الفخمة حيث يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾ من الآية ٧٤ (الأعراف).

ومع زيادة الرقى والتقدم فإننا نجد المبانى العالية والمرتفعة كما فى حضارة سيدنا سليمان :

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ ﴾ من الآية ١٣ (سبأ).

والمحاريب هى الأبنية المرتفعة التى يصعد اليها بدرج ، أو كما طلب فرعون من هامان أن يبنى له بناء عالياً لعله يطلع إلى إله موسى ، فيقول سبحانه وتعالى :

﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ من الآية ٣٨ (القصص).

حديث القرآن و السنة عن فوائد المأوى :

يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ (النحل).

وفى الآيتين السابقتين يوضح لنا الله سبحانه وتعالى جانبا من بيوت بعض الحشرات وهى النحل ذلك المخلوق العجيب الذى يتخذ بيوتا محكمة فى غاية الإتقان فى تسديسها ورصها بحيث لا يكون فى بيتها خلل ، ونحن إذا تأملنا الشكل المسدس فإننا نجده هو الشكل الوحيد بين الأشكال القريبة من الشكل الدائرى والذى إذا جمع كل واحد منها إلى أمثاله لم يحدث بينهم فرج وهذا خاص فقط بالشكل المسدس دون الشكل المخمس أو المثمن أو المتسع أو المعشر ، فبذلك يعطينا النحل درساً فى إقامة أكبر عدد من الخلايا أو البيوت فى أقل مساحة متاحة ، كما أننا نجد لفته كريمة حيث يأمر الله النحل أن تتخذ البيوت أولا ثم بعد ذلك يأمرها بأن تسلك سبل ربها لتجمع رحيق الأزهار والذى منه العسل وبذلك نجد العلاقة بين المسكن



بيوت النحل

إقامة أكبر عدد من الخلايا فى أقل مساحة ممكنة

المناسب والقدرة على العمل والإنتاج والإبداع فإذا كان هذا فى عالم الحشرات فما بالنا بأهميته فى عالم البشر ؛ فمن أهم فوائد المأوى أن الإنسان يسكن إليه ليستريح فيه ثم بعد ذلك ينطلق فى الأرض يسعى كادحا ليتحصل على رزقه ويعمل وينتج ويبدع .

والمأوى لا يمثل مكانا للراحة فقط بل وأيضا كمكان لادخار ما يعين الإنسان على الحياة والمعيشة سوآء كان ذلك طعاما أو أى شىء آخر حيث يقول سبحانه وتعالى على لسان سيدنا عيسى :

﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ من الآية ٤٩ (آل عمران).

ومن فوائد المأوى أيضا أنه يمكن أن تؤدى فيه العبادات كالصلاة مثلا حيث يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (يونس).

فقد قال أكثر المفسرين :" كان بنو إسرائيل لا يصلون إلا فى مساجدهم وكنائسهم وكانت ظاهرة فلما أرسل موسى أمر فرعون بمساجد بنى اسرائيل فخربت كلها ومنعوا من الصلاة فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم سرا وذلك حين أخافهم فرعون فأمروا بالصبر واتخاذ المساجد فى البيوت ، وفى الشريعة الإسلامية فإن صلاة النافلة فى البيت أفضل من المسجد ، وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام فى حديث زيد ابن ثابت:"فعليكم

بالصلاة فى بيوتكم فإن خير صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة" [خرجه البخارى] [١]

حديث القرآن و السنة عن عناصر الفرش والأثاث الداخلى للمأوى :

الأثاث هو متاع البيت وجميع ما يستعمله الانسان فى داره من فرش وثياب [٢] ولم تغفل آيات القرآن الكريم عن التحدث عن أنواع وأشكال متعددة للأثاث والفرش الداخلى ، فيقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) ﴾ (يوسف) .

والمتكأ هو كل ما اتكئ عليه عند طعام أو شراب أو حديث ، ويطلق أيضاً على المقعد والمسند[٣] كما يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) ﴾ (السجدة) .

والمضاجع جمع مضجع وهى مواضع النوم ، ومنه قول عبد الله بن رواحة[٤] :

وفينا رسول الله يتلو كتابه .. إذا انشق معروف من الصبح ساطع
يبيت يجافى جنبه فراشـــه .. إذا استثقلت بالمشركين المضاجـع

---

(١) (٤) تفسير القرطبى .

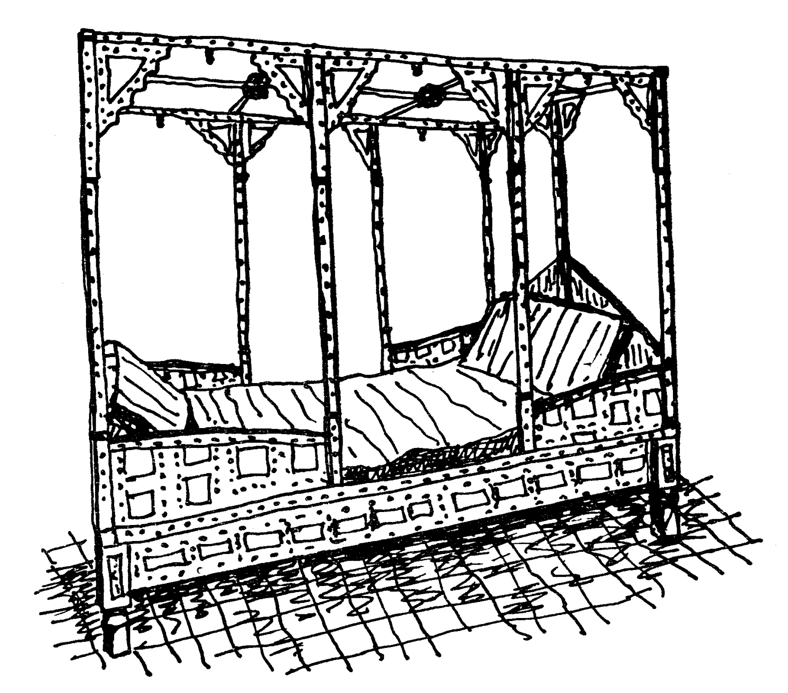
(٢) (٣) موسوعة العمارة الإسلامية د/ عبد الرحيم غالب .

ولقد روى البخارى فى صحيحه قال :حدثنا قتيبه حدثنا جرير عن الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق "عن عائشة رضى الله عنها قالت :" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى وسط السرير وأنا مضطجعة بينه وبين القبلة ، تكون لى الحاجة فأكره أن أقوم فأستقبله ، فأنسل انسلالا" .

وقد قال ابن بطال :" فيه [أى الحديث] جواز اتخاذ السرير والنوم عليه ونوم المرأة بحضره زوجها" .

كما روى الإمام البخارى فى كتابه الأدب المفرد "باب الجلوس على السرير" ، قال : حدثنا عمرو بن منصور قال : حدثنا مبارك قال : حدثنا الحسن قال : حدثنا أنس بن مالك قال : دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو على سرير مرمول بشريط ، تحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف ، ما بين جلده وبين السرير ثوب ، فدخل عليه عمر فبكى ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك ياعمر ؟ قال: أما والله ما أبكى يارسول الله إلا أكون أعلم أنك أكرم على الله من كسرى وقيصرفيهما يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا وأنت يا رسول الله بالمكان الذى أرى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أما ترضى ياعمر أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ قلت : بلى يارسول الله قال : فإنه كذلك" .

والشاهد فى الحديث هو اتخاذ الرسول[ص] للوسادة



سرير في بيت الكريدليه

والسرير كعنصرين من عناصر الفرش الداخلي، كما يلفت الحديث نظرنا إلى بساطة معيشة رسولنا الكريم عليه الصلاة و السلام و عدم الإسراف و البذخ .

و من عناصر الفرش الداخلي التي جاء ذكرها في القرآن الكريم "الأرائك" و هي جمع أريكة و هي المقعد المنجد الذي يتكأ عليه أو سرير للعروس يجلس عليه بشكل مريح يزخرف و يحاط بالستائر[١]، حيث يقول سبحانه و تعالى :

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (المطففين) .

و يقول سيد قطب عن الأرائك :"و هي الأسرة في الحجال، و أقرب ما يماثلها عندنا ما نسميه [الناموسية] و صورتها الدنيوية كانت أرقى مظاهر النعيم عند العربي ذي العيشة الخشنة، أما صورتها الأخروية فعلمها عند الله"[٢] .

و لقد أعطى القرآن الكريم صورة و فكرة عن عناصر الفرش الداخلي من خلال حديث آياته عن المتع التي أعدها الله لعباده الصالحين في الجنة، فيقول الله سبحانه و تعالى :

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾
وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ (الغاشية) .

و السرر جمع سرير و يطلق على الأريكه التي لا ستر عليها أو المضطجع، و النمارق جمع نمرقة و هي الوسادة الصغيرة يتكأ عليها، و الزرابي مفردها زربية و هي المسند

---

(١) موسوعة العمارة الإسلامية، د/ عبد الرحيم غالب .

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب .

الناعم الوبر أو البساط الملون .

و بصفة عامة فإن الأثاث فى الشرق كله لا عند المسلمين فقط كان فى غاية البساطة و الاختصار، فالمشرقى كان يجد راحة أكثر بالجلوس حراً على الأرض و كان يفضل تناول الطعام و هو [متربع] أمام [طبلية] قليلة الإرتفاع .... ذلك الأثاث البسيط و تلك الجلسة المتواضعة ارتبطا بالزهد .."[١].

و لنا فى أسلوب حياة رسولنا الكريم عليه الصلاة و السلام الأسوة و القدوة الحسنة فعن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال :"نام رسول الله صلى الله عليه و سلم على حصير فقام و قد أثر فى جنبه، فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء؟ قال مالى و الدنيا، ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح و تركها" رواه الترمذى ، و قال حديث صحيح، و الحديث النبوى فيه إشارة إلى اتخاذ الرسول عليه الصلاة و السلام الحصير كأحد أنواع البسط رخيصة الثمن زهداً فى الدنيا .

---

(١) موسوعة العمارة الإسلامية، د/ عبد الرحيم غالب.

حديث القرآن و السنة عن بعض العناصر المعمارية و الإنشائية للمأوى :

لا شك أن رفع السماء و التى تعتبر سقفاً للأرض بغير عمد يعتبر من وجهة نظر الهندسة الإنشائية إعجازاً بكل المقاييس وذلك لأننا لو نظرنا إلى جميع أسقف المبانى نجدها فى احتياج إلى أعمدة أو حوائط لترتكز عليها، و مهما تقدمت العلوم الإنشائية و تباعدت المسافات بين الأعمدة الحاملة للأسقف فإنه لا يمكن الاستغناء عنها بالكلية و هذا يوضح الإعجاز الهندسى و الإنشائى فى رفع السماء بغير عمد، و فى ذلك يقول سبحانه و تعالى :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ (الرعد).

قال قتادة و إياس بن معاوية و غيرهما :"إن السماء مرفوعة بغير عمد ترونها، و قال آخرون : لها عمد و لكنا لا نراه، و قال الزجاج : العمد قدرته التى يمسك بها السماوات و الأرض و هى غير مرئية لنا، و قوله [ترونها] تأكيدا لنفى ذلك أى هى مرفوعة بغير عمد كما ترونها و هذا هو الأكمل فى القدرة".[١]

و من جانب آخر فإننا لو تأملنا الآيات التى جاء فيها

---

(١) تفسير القرطبى.

ذكر السماء لوجدنا أن العديد منها يأتى فيه ذكر البناء متلازما للسماء و من ذلك قوله سبحانه و تعالى :

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الذاريات) .

﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا ﴾ من الآية ٦ (ق) .

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ ﴾ (الشمس) .

ثم يأتى ذكر السماء صراحة على أنها السقف للأرض حيث يقسم الله بها و يقول :

﴿ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴿٥﴾ ﴾ (الطور) .

كما يقول سبحانه و تعالى :

﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الأنبياء) .

فلو تأملنا أغلب الآيات السابقة لوجدنا أن ذكر البناء يأتى متلازما مع السمآء، ثم أتى ذكر السمآء فى بعض الآيات الأخرى صراحة على أنها السقف الطبيعى للأرض وكأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يلفت انتباهنا إلى أن البناء الحقيقى يكون فى السقف وأن السقف من أهم عناصر أى مبنى ، وذلك لأن المبنى لا يكتمل الإحساس به إلا بوجود سقف له ، كما أن أى مبنى يتحدد شكله وطابعه من شكل سقفه ، فالمبنى الذى سقفه عل شكل قبه يختلف طابعه ووظيفته عن السقف المائل أو المسطح ، كما أن تكاليف أى مبنى تزداد بازدياد تكاليف سقفه وتقل كلما قلت هذه التكاليف .

... ولقد روى عن الإمام أحمد فى مسنده عن أنس قال : مررت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى طرق المدينة فرأى قبة من اللبن فقال لمن هذه ؟ فقلت لفلان فقال : [أما إن كل بناء هد على صاحبه يوم القيامة إلا ما كان فى مسجد أو فى بناء مسجد [شك الراوى] ثم مر فلم يقلها فقال : ما فعلت القبة قلت بلغ صاحبها ما قلت فهدمها قال رحمه الله].

والشاهد فى الحديث النبوى ذكر القبة من اللبن كأحد الأشكال المتميزة للأسقف .

و قد يتساءل سائل ما الذى جعل رسول الله صلى الله عليه و سلم يكره القبه نقول لأنها ربما كانت زيادة فى الترف فى المساكن بدقة بنائها و لأنها تميز المسكن الذى شيدت فوقه عن باقى المساكن و فيها كسر قلوب الفقراء [١] .

و إذا كان القرآن الكريم قد أوضح لنا أهمية السقف كعنصر معمارى فلقد نبهنا إلى أهمية الأساسات الحاملة للسقف و لباقى عناصر المبنى من حوائط أو أعمدة و نلمح ذلك فى قوله تعالى :

﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾ من الآية ٢٦ (النحل).

فالآية الكريمة توضح أهمية قواعد البناء و أساساته فهى أصول البناء و إذا اختلت القواعد سقط السقف و البناء، ولأهمية

---

(١) الكتاب و السنة أساس تأويل العمارة الإسلامية : م/ عبد العزيز أبا الخيل - بتصرف.

قواعد البناء فإننا نجد لمحة و لفته جليلة فى إحدى آيات سورة التوبة توضح لنا أهمية التدقيق فى اختيار الأراضى و المواقع التى تصلح للتأسيس عليها حيث يقول سبحانه و تعالى :

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ (التوبة) .

فيخبرنا الله سبحانه و تعالى بأن من أسس بنيانه على تقوى وخوف من الله خير أم هذا الذى أسس بنيانه على طرف واد متصدع مشرف على السقوط ، والشاهد فى الآية الكريمة هو أهمية اختيار الأراضى والمواقع التى تصلح للبناء والتأسيس عليها وذلك كما سبق وأن أشرنا لأهمية قواعد البناء والخوف عليها من الإنهيار أو الأختلال فيسقط كل البناء .

حديث القرآن الكريم عن مواد الإنشاء والتعمير اللازمة للمأوى :

عندما أمر الله سبحانه وتعالى عباده بعمارة الأرض يسر لهم المواد اللازمة لتعميرها وأوجد هذه المواد فيها ، ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى فى كتابة الكريم أنواعاً شتى من مواد البناء والإنشاء ونبه البشر إلى مزاياها حتى يستفيدوا منها أقصى استفادة لتعمير الأرض .

فعلى سبيل المثال جاء ذكر مادة الطين وصناعة الآجر

[الطوب] وذلك منذ آلاف السنين فى عصر الفراعنه حيث يقول سبحانه وتعالى على لسان فرعون :

﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ من الآية ٣٨ (القصص).

فصناعة الطوب كما يتضح من الآية السابقة كانت معروفة عند الفراعنة وكان الطين يستخدم فى بناء مدنهم وقراهم فى حين كانوا يستعملون الحجر فى بناء معابدهم ونحت تماثيلهم .

أما بالنسبة للصخر والأحجار كمواد للبناء فقد جاء ذكرها فى حضارة قوم ثمود حيث يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ (الفجر).

حيث كانوا يستعملون الصخر فى البناء كما كانوا ينحتون البيوت فى الجبال .

ومن المواد المعمارية التى استخدمها البشر منذ قديم الزمن جلود الأنعام وكذلك أصوافها وأوبارها وأشعارها كأثاث ومتاع حيث يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ (النحل).

ولاشك أن الجلود كانت ولا تزال تستعمل فى صناعة الخيام وبيوت النقله والترحال خاصة بالنسبة للبدو الرحل ، كما

أن الجلود أصبحت فى عصرنا الحديث من أهم المواد التى تستخدم فى الأثاث والعمارة الداخلية وفى كثير من المنافع الأخرى..... أما بالنسبة للأخشاب فلقد استعملها الإنسان فى بناء مسكنه أو تسقيفة خاصة فى المناطق التى تتوفر فيها الغابات والأشجار ، وقد بين لنا القرآن الكريم أن استخدام الأخشاب كان منذ قديم الزمن حيث استخدمها سيدنا نوح فى صناعة سفينته حيث يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ (القمر) .

والألواح التى جآء ذكرها فى الآية السابقة هى الألواح الخشبية التى تم تجميعها وتثبيتها معا بالدسر أى المسامير .

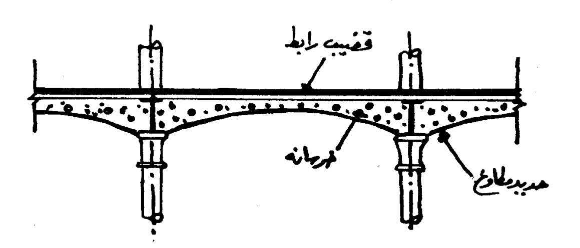
كما جآء ذكر المواد المعمارية الإنشائية المعدنية كالحديد مثلا حيث يقول سبحانه وتعالى :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ (الحديد) .

ونجد فى الآية السابقة لفتة كريمة إلى مزايا الحديد "فيه بأس شديد ومنافع للناس" لينشط الناس فى استخراجة واستعماله ولا أحد يستطيع أن ينكر اكتشاف الخرسانة المسلحة والذى يعتبر الحديد العنصر الأساسى فى تكوينها لتحملة قوى الشد



البناء بالطين فى عصر الفراعنة



الحديد و الخرسانة

[نموذج فى بداية استعمالهما سنة ١٨٤٥]

تعتبر حدثاً فريداً فى تاريخ العمارة والإنشاء حيث فتحت آفاقاً ومجالات رحبة للبناء والتعمير ، كما أن استخدام الحديد منفرداً على هيئة أعمدة وكمرات وجمالونات خاصة فى المنشآت الصناعية أتاح فرصة للحصول على منشآت ذات بحور كبيرة تستخدم استخدامات شتى خاصة فى مجال العمران الصناعى ، وهذه أحدى منافع الحديد التى جاء ذكرها مجملة فى القرآن الكريم "ومنافع للناس" ، وذكر الحديد إنما هو مثال للمعادن الأخرى كالنحاس مثلا حيث يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ﴾ من الآية ١٢ (سبأ) .

فالنحاس يعتبر له فوائد عظيمة فى صناعة الأدوات النحاسية أو فى العمارة الداخلية سواء من الناحية الوظيفية أو الجمالية الزخرفية ، ثم يعطينا القرآن الكريم لفتة كريمة لاستخدام معدنى الحديد والنحاس معاً توضح جانب من جوانب منفعتهما للبشر وذلك فى المبانى والسدود الدفاعيه حيث يقول سبحانه وتعالى على لسان ذى القرنين :

﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ (الكهف) .

فالآيتان السابقتان تشيران إلى الجهود الفنية والصناعية التى بذلت فى إقامة هذا السد العظيم وكيف تم استخدام قطع الحديد كمادة تسليح أساسية لجسم السد ثم إفراغ النحاس المذاب على هذه القطع الحديدية لتتماسك معاً وليصبح السطح الخارجى لهذا السد أملس فلا يمكن تسلقه أو ثقبه لشدة صلابتة

ومن المواد المعمارية التى جآء ذكرها فى القرآن الكريم الزجاج ، وأوضح لنا القرآن الكريم استعمال الزجاج فى الصرح الذى شيده سيدنا سليمان لاستقبال بلقيس ملكة سبأ ، وفيقول سبحانه وتعالى :

﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾ من الآية ٤٤ (النمل).

والمقصود بالقوارير فى الآية السابقة أى الزجاج ، وقد قيل أن هذا الصرح كان كله من زجاج بما فى ذلك أرضيته لذلك عندما فوجئت بلقيس بتلألأ هذه الأرضية الزجاجية لشدة لمعانها وانعكاس الأضواء عليها حسبتها نهر جار ورفعت ثيابها مخافة البلل ، ولا شك أن مادة الزجاج أصبحت من أهم المواد المعمارية فى العصر الحديث ، مما سبق يتضح لنا أن القرآن الكريم لم يغفل عن ذكر الكثير من مواد الإنشاء والتعمير كالطين والحجارة والأخشاب والحديد والنحاس والزجاج ..، وذلك ليستعين بها الإنسان فى عمارة الارض ، بل ويوضح القرآن الكريم خواصها ومميزاتها للإنتفاع بها لأقصى درجة ممكنة .

المبحث الثانى

المأوى فى الحياة البرزخية

الحياة البرزخية هى الفترة التى يقضيها الإنسان بعد موته بين حياتين أولهما الحياة الدنيا على وجه الأرض وثانيهما الحياة الآخرة بعد البعث والنشور ، وتشاء قدرة الله سبحانة وتعالى أن يجعل للإنسان مأوى فى الحياة البرزخية ألا وهى القبور ، ويحدثنا القرآن الكريم عن أول قبر عرفه الإنسان من خلال قوله سبحانه وتعالى :

﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ (المائدة) .

لما قتل قابيل أخيه هابيل لم يعرف كيف يدفنه فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحد الغرابين الآخر ثم حفر له ثم حثى عليه فلما رآه قابيل عرف كيف يمكنه أن يوارى سوءة أخيه ومن هنا تعلم الإنسان وعرف أن الميت يجب أن يقبر ويدفن ، ويؤكد ذلك قوله سبحانة وتعالى :

﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ (عبس) .

أى أن الله بعد أن خلق الإنسان أماته وجعله ذا قبر ٠

ولقد أوضحت السنه النبوية المباركة مواصفات هذا القبر ، فلقد قال الإمام أبو حنيفه :"إن السنه هى اللحد، و اللحد أن يشق فى الأرض ثم يحفر قبر آخر فى جانب الشق من جانب القبلة ، إن كانت الأرض صلبة ، يدخل فيها الميت ويسد عليه باللبن ، وذلك الذى اختاره الله لرسوله صلى الله عليه وسلم[١].

ولقد قال الإمام البخارى فى صحيحه : حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله أخبرنا الليث بن سعد قال حدثنى ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال :" كان النبى صلى الله عليه وسلم يجمع بين رجلين من قتلى أحد ثم يقول : أيهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدمه فى اللحد ، فقال : أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة ، فأمر بدفنهم بدمائهم ولم يغسلهم "، وفى السنن لأبى دواد وغيره من حديث ابن عباس مرفوعاً "اللحد لنا والشق لغيرنا" وهو يؤيد فضيلة اللحد على الشق ، والله أعلم ٠

وجدير بالذكر هنا أن ننبه إلى أن السنه النبوية المباركة قد نهت عن البناء على القبور مهما كان نوع هذا البناء حتى ولو كان مسجداً ، فلقد روى مسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة بإسناده عن عائشة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى لم يقم منه :" لعن الله اليهود والنصارى

---

(١) تفسير القرطبى .

اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"، قالت:" فلولا ذاك أبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً ".

وفى الحديث النبوى نهى واضح عن بناء المساجد على قبور الأنبياء وذلك بلعن اليهود والنصارى الذين فعلوا ذلك ، فما بالنا بقبور الصالحين ·

وعن جابر قال :" نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ " قال الترمذى حديث حسن ، وبذلك نجد النهى الصريح عن البناء على القبور أو تغطيتها بالقباب أو حتى بناء المساجد عليها كما نرى فى بعض الأضرحة أو المقابر الخاصة ·

وقد يقول قائل : إذا كان من المقرر شرعاً تحريم بناء المساجد على القبور ، كما تبين لنا من الأحاديث السابقة ، فإنه يوجد تعارض بين النهى الوارد فى هذه الأحاديث وبين قوله سبحانه وتعالى :

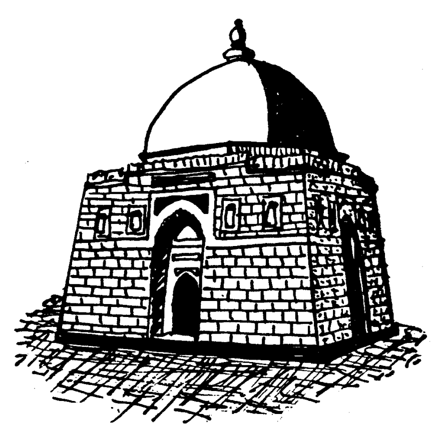
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ (الكهف) ·

وذلك لأن البعض زعم أن فى قوله الله سبحانه وتعالى [قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً] جواز البناء

على قبور العلماء والصالحين وكان حجتهم فى ذلك أن جواز بناء المسجد على القبر كان شريعة لمن قبلنا وشريعه من قبلنا شريعة لنا إذا حكاها الله تعالى ولم يعقبها بما يدل على ردها كما فى الآية الكريمة السابقة ، ولقد رد الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى على هذا الزعم بقوله : " هب أن الصواب قول من قال : " شريعة من قبلنا شريعة لنا " فذلك مشروط عندهم بما إذا لم يرد فى شرعنا ما يخالفه و هذا الشرط معدوم هنا لأن الأحاديث تواترت فى النهى عن البناء المذكور كما سبق ، فذلك دليل على أن الآية ليس شريعة لنا ......، لانسلم أن الآية تفيد أن ذلك كان شريعة لمن قبلنا ، غاية ما فيها أن جماعة من الناس قالوا : [لنتخذن عليهم مسجداً] فليس فيها التصريح بأنهم كانوا مؤمنين ، وعلى التسليم فليس فيها أنهم كانوا مؤمنين صالحين متمسكين بشريعة نبى مرسل بل الظاهر خلاف ذلك ، قال الحافظ ابن رجب فى "فتح البارى فى شرح البخارى" [٦٥/٢٨٠] من "الكواكب الدرارى] فى شرح حديث "لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" : " وقد دل القرآن على مثل مادل عليه هذا الحديث وهو قول الله عز وجلّ فى قصة أصحاب الكهف [قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً] فجعل اتخاذ القبور على المساجد من فعل أهل الغلبة على الأمور، و ذلك يشعر بأن مستنده القهر و الغلبة و اتباع

الهوى و أنه ليس من فعل أهل العلم و الفضل لما أنزل الله على رسله من الهدى" [١] .

و بذلك يتضح لنا أنه لا يصح الإحتجاج بهذه الآية بجواز البناء على القبور حيث لا يمكن أن يكون اتخاذ المساجد على القبور من الشرائع المتقدمة مع ما ذكرنا من لعن اليهود والنصارى فى الأحاديث النبوية حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .



ضريح غياث الدين طوغلى بالهند

[النهى عن البناء على القبور]

---

(١) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، محمد ناصر الدين الألبانى .

المبحث الثالث

المأوى فى الحياة الآخرة

« مساكن أهل الجنة »[١]

يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ
﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ (النازعات) .

فالجنة هى مأوى المتقين و الطائعين، و فيها ما لا عين رأت و لا اذن سمعت و لا خطر على قلب بشر، و من المتع التى أعدها الله لعباده المتقين فى الجنة المساكن و القصور و الأنهار و البساتين، حيث يقول سبحانه و تعالى :

﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ (الصف) .

كما يقول سبحانه و تعالى :

﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ (الزمر) .

فالغرف فى الجنة مبنية بعضها فوق بعض أى منازل مرتفعة و فوقها منازل أرفع منها، و هى قصور عاليات مزخرفات، و يعطينا رسولنا الكريم صلى الله عليه و سلم فكرة عن هذه الغرف فيقول : " إن فى الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها و باطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام و أدام

---

(١) المرجع الأساس الذى اعتمدنا عليه فى هذا المبحث هو "حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح"، لابن قيم الجوزية .

الصيام و صلى الليل و الناس نيام"، رواه الطبرانى .

و فى الصحيحين من حديث عبد الله بن أبى أوفى و أبى هريرة و عائشة أن جبريل قال للنبى صلى الله عليه و سلم هذه خديجة أقرئها السلام من ربها، و أمره أن يبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه و لا نصب، و القصب هو اللؤلؤ المجوف و يتضح لنا من وصف بيت السيدة خديجة قمة الجمال المعمارى و الذى لا يمكن لبشر أن يتخيله .

كما أخبر الأعمش عن مالك بن الحارث عن مغيث عن سمى قال :"إن فى الجنة قصوراً من ذهب و قصوراً من فضة و قصوراً من لؤلؤ و قصوراً من ياقوت و قصوراً من زبرجد"، أما عن الخيام التى فى البساتين و على شواطىء الأنهار فيقول عنها رسولنا الكريم عليه الصلاة و السلام :" إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا" متفق عليه .

أما عن الفرش و الأثاث التى بداخل هذه القصور و المساكن فيقول عنها سبحانه و تعالى :

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ (الرحمن) .

فلقد وصف الله سبحانه و تعالى الفرش بكونها مبطنة بالإستبرق و هو الحرير السميك مما يدل على أن ظهائرها أحسن و أجمل من بطائنها لأن البطائن للأرض و الظهائر للجمال و الزينة المباشرة، فإذا كانت البطائن من استبرق فكيف بالظهائر؟! أما عن

السرر و النمارق و الزرابى فلقد قال سبحانه و تعالى عنها :

﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ (الغاشية) .

و قد قال ابن عباس عن السرر المرفوعة : بأنها سرر من ذهب مكللة بالزبرجد و الدر و الياقوت، أما الواحدى قال : أن النمارق هى الوسائد واحدها نمرقة بضم النون، و قال مقاتل : هى الوسائد مصفوفة على الطنافس،أما الزرابى فهى البسط .

و قال مجاهد :" فتأمل كيف وصف الله سبحانه و تعالى الفرش بأنها مرفوعة و ذلك دليل على سمكها و لينها، و بث الزرابى دال على كثرتها و أنها فى كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخرة و جوانبه...." .

هذه لمحة سريعة من خلال آيات القرآن الكريم و أحاديث الرسول عليه الصلاة و السلام عن مساكن أهل الجنة، نسأل الله سبحانه و تعالى أن نكون منهم .

المبحث الرابع

تأثير المنهج الإسلامى

على عمارة المساكن من الداخل و الخارج

يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ من الآية ٨٠ (النحل) .

فالمسكن هو المكان الذى يستطيع فيه الإنسان أن يتمتع بقسط من الراحة و الاطمئنان و نحن باعتبارنا مسلمين لنا دين قيم وضع لنا منهجاً متكاملا للحياة و بالتالى لأسلوب الحياة و المعيشة لذلك فيجب أن يراعى فى تصميم المسكن و عمارته من الداخل أن يعكس منهج و تعاليم الإسلام و سيكون تركيزنا على توضيح تأثير المنهج الإسلامى الذى ينبع من الآيات القرآنيه و الأحاديث النبوية منصباً على عمارة المسكن من الداخل حيث يخلد الإنسان للراحة و الهدوء .

و من أهم المعايير الواجب توافرها فى مسكن المسلم ما يلى :

أولا : توفير الخصوصية للمسكن من الخارج و الداخل :

يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ (البقرة) .

و فيما ورد فى هذه الآية يقول ابن عباس فى رواية أبى صالح : " كان الناس فى الجاهلية و فى أول الإسلام إذا أحرم رجل منهم بالحج، فإن كان من أهل المدر - يعنى أهل البيوت - ثقب فى ظهر [أى سطح] بيته فتحة يدخل و يخرج أو يضع سلماً فيصعد منه و ينحدر عليه، و إن كان من أهل الوبر - أى الخيام - يدخل من خلف الخيمة ...". [١]

و تشير الآية السابقة إلى أن للبيوت و المنازل السكنية مداخل و أبواب رئيسية يجب الدخول و الخروج منها و هذا بالنسبة لأهل البيت، فما بالنا بالزوار و الغرباء، و بذلك نجد إشارة و لفته لخصوصية المساكن و المحافظة على حرمتها بالدخول من أبوابها الرئيسية حتى لا نفاجىء أهل البيت و نطلع على عوراتهم، مما يدعو المصمم المعمارى إلى الإهتمام بتوفير الخصوصية اللازمة لمداخل المساكن أو مدخل كل شقة سكنية على حدة .

و عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم أن النبى صلى الله عليه و سلم قال :" لا يحل لامرىء مسلم أن ينظر إلى جوف بيت حتى يستأذن، فإن فعل فقد دخل، و لا يؤم قوماً فيخص نفسه بدعوة دونهم حتى ينصرف، و لا يصلى و هو حاقن حتى يتخفف"، رواه البخارى فى الأدب المفرد .

و الشاهد فى الحديث الشريف هو النهى عن النظر إلى

---

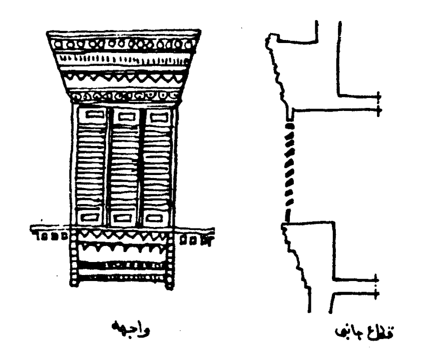
(١) تفسير القرطبى .

جوف البيوت دون إذن أهلها و ذلك من أجل عدم الاطلاع على عورات أهل هذه البيوت، و جدير بالذكر أن نشير إلى أن المصمم في الكثير من البيوت الإسلامية القديمة قد وفر الخصوصية لمداخلها عن طريق المداخل المنكسرة على نفسها بزاوية قائمة و هي ما كانت تعرف " بالمجاز" .

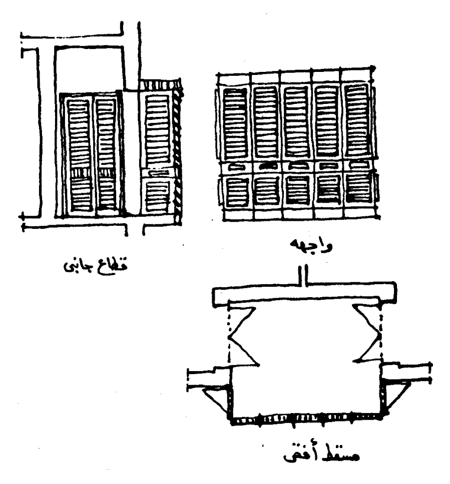
و نتيجة لأن الله سبحانه و تعالى أنعم على البشر بالمساكن و سترهم فيها عن أعين المتطفلين و جعلهم يستمتعون بها على الإنفراد فلقد حجر على الخلق أن يطلعوا على ما فيها من خارج أو يلجوها من غير إذن أربابها و في ذلك يقول سبحانه و تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ (النور) .

و نلمح في الآية الكريمة تنبيه و توجيه إلى أهمية توفير الخصوصية للمسكن، و يمكن أن يكون ذلك عن طريق واجهاته الخارجيه و مداخله أيضاً و تظهر هذه الخصوصية في أسلوب تصميم نوافذه و شرفاته، و يفضل تصميم المسكن على فناء داخلي إن سمحت المساحة و الإمكانات المادية بذلك حتى يتم توجيه أغلب غرف المسكن على هذا الفناء فتقل الفتحات على واجهاته الخارجية مما يزيد من توفير الخصوصية للمسكن من الخارج .



التصميم التقليدى للروشن

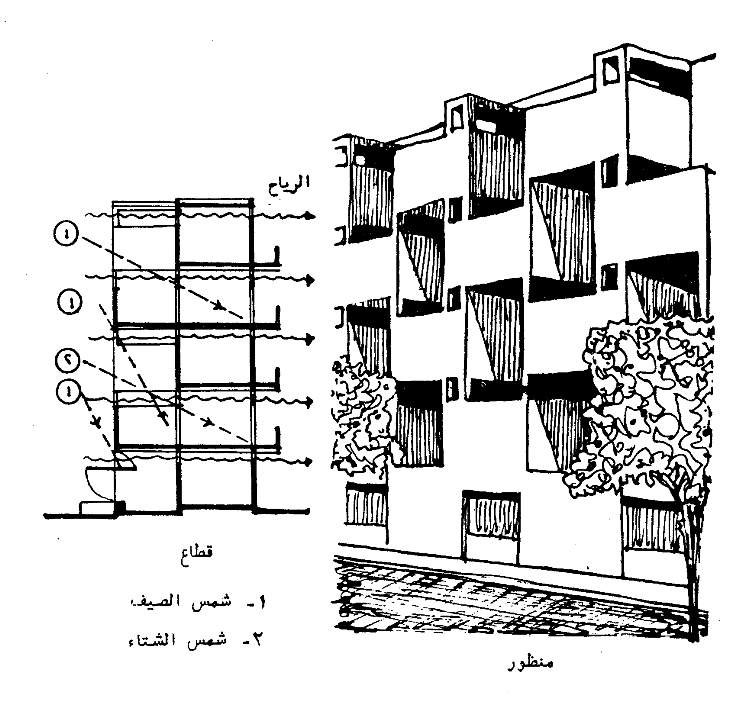


تصميم معاصر للروشن

[اضفاء الخصوصية على واجهات المساكن]

أما عن خصوصية المسكن من الداخل، فيشير لذلك قوله سبحانه و تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ (النور) .

فالآية الكريمة فيها توضيح لثلاثة أوقات يجب أن يستئذن فيها العبيد و الإماء [الخدم] و كذلك الأطفال قبل الدخول على غرف نوم أهل البيت، و على ذلك فإن توفير الخصوصية للمسكن من الداخل يجب أن يراعى فى التصميم المعمارى و يكون ذلك بفصل جناح النوم عن جناح الزوار و المعيشة حتى لا يسهل على الغرباء و الزوار الإطلاع على أهل البيت بجناح النوم، و لقد روى البخارى فى كتابه الأدب المفرد ما يؤكد هذا المعنى حيث قال: حدثنا عبد الله بن يزيد قال : حدثنا شعبه عن عطاء بن دينار عن عمار بن سعد التجيبى قال: قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: " من ملأ عينيه من قاعة بيت قبل أن يؤذن له فقد فسق "، و الشاهد فى قول عمر بن الخطاب هو أن الاستئذان واجب قبل الدخول على البيوت و مما يؤكد ذلك قول النبى صلى الله عليه و سلم فى الصحيحين



استخدام الشرفات بارتفاع دورين لتوفير الخصوصية
بأحد المشاريع السكنية بالجزائر

" إنما جعل الاستئذان من أجل البصر " .

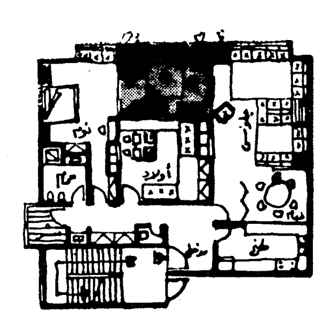
و يمكن فصل جناح النوم عن جناح المعيشة و الزوار بوجود مدخل يتوسط الوحدة السكنية و يمكن الوصول منه لجناح النوم دون المرور على جناح المعيشة و بالعكس، أو بالفصل الرأسي بجعل غرف المعيشة و الزوار فى الدور الأرضى و جناح النوم فى الدور العلوى و يتصلان معاً بدرج داخلى .

ثانياً : النهى عن الإسراف و البذخ فى عمارة المسكن :

الإسلام دين الوسطيه فى كل شىء، و ينعكس هذا المفهوم أيضاً على عمارة المسكن، فالمسكن يعبر عن المستوى المادى لساكنه و لكن دون إسراف أو بذخ فى عمارته سواء كان ذلك من الخارج أو الداخل، فالوظيفة هى الأساس فى تصميم و عمارة المسكن و لا مانع من وجود اللمسة الجمالية البسيطة و التى تضفى على المسكن البهجة و الراحة النفسية، أما البهرجة و الإسراف و البذح فى تزيين و عمارة المسكن فهى صفة لمساكن أهل الأهواء و نلمح هذا المعنى من خلال بعض آيات القرآن الكريم حيث يقول سبحانه و تعالى :

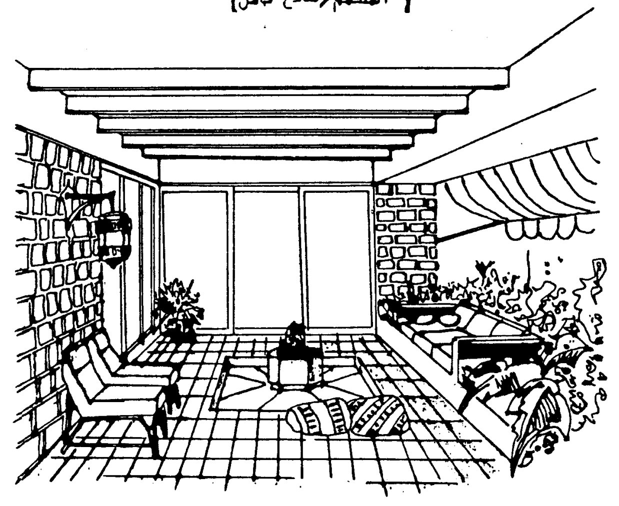
﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ (الاسراء) .

فالكفار يجعلون أحد الشروط التى تجعلهم يؤمنون بالرسول عليه



مسقط أفقى لوحدة سكنية تتوسطها شرفة بها نافورة

[المصمم/صلاح كامل]



منظور الشرفة

الصلاة و السلام أن يكون له بيت من ذهب و ذلك لأنهم أهل دنيا و ترف و يرون ذلك فى المساكن التى تحتوى على الزخارف و التحف الكثيرة و يجعلون كل همهم التمتع بالدنيا فقط و ما فيها و من ذلك القصور و البيوت و التى أُسرِفَ فى الإنفاق على تزينها و زخرفتها.

و يتأكد لنا هذا المعنى من خلال وصف تفصيلى لما كان يمكن أن يجعل الله عليه بيوت الكافرين فى الحياة الدنيا، حيث يقول الله سبحانه و تعالى : ﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ (الزخرف) .

و قد قال العلماء: ذكر الله حقارة الدنيا، و أنها عنده من الهوان بحيث كان يمكن أن يجعل بيوت الكفار و درجها ذهباً و فضه لولا غلبة حب الدنيا على القلوب، فيحمل ذلك على الكفر، قال الحسن :" لولا أن يكفر الناس جميعاً بسبب ميلهم إلى الدنيا و تركهم الآخرة لأعطيناهم فى الدنيا ما وصفناه، لهوان الدنيا عند الله عز و جل ".

و المعارج أى الدرج، [عليها يظهرون] أى على المعارج يرتقون و يصعدون، "و زخرفاً" قال ابن زيد:" هو ما يتخذه الناس فى منازلهم من الأمتعة و الأثاث "، و قال الحسن : "النقوش"، يقال : زخرفت الدار أى زينتها" [١].

---

(١) تفسير القرطبى .

مما سبق فإننا نجد أن الآيتين السابقتين تشيران إلى النهى عن الإسراف و البذخ فى زخرفة و تزيين البيوت لأن ذلك من المتاع الزائل، و لا مانع من تزينها لكن بأسلوب بسيط و دون إسراف و بذخ، مع ملاحظة أن الرسول عليه الصلاة و السلام قد نهى فى أكثر من حديث نبوى عن تصوير الكائنات الحيه مما يجعل المسلم لا يزين مسكنه بتماثيل أو صور لكائنات حية، و لكن يمكن أن يزينها بصور الطبيعة و كل ما لا روح فيه .

فلقد روى البخارى و مسلم و أحمد عن أبى زرعه قال: " دخلت مع أبى هريرة دار مروان بن الحكم فرأى فيها تصاوير و هى تبنى، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : "قال الله عز و جل : و من أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى، فليخلقوا ذرة أو فليخلقوا حبة أو فليخلقوا شعيره " .

كما قال البخارى فى كتابه الأدب المفرد :حدثنا عبد الرحمن بن يونس قال: حدثنا محمد بن أبى الفديك قال: حدثنى عبد الله بن أبى يحيى عن أبن أبى هند عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه و سلم قال :" لا تقوم الساعة حتى يبنى الناس بيوتاً يشبهونها بالمراجل "، قال ابراهيم : يعنى الثياب المخططة .

و لقد نهت السنة النبوية عن استعمال آنية الذهب و الفضة فى الأكل و الشرب، كما نهت عن الجلوس على الحرير

الطبيعى و جلود السباع، فلقد روى البخارى عن حذيفة رضى الله عنه قال: نهانا النبى صلى الله عليه و سلم أن نشرب فى آنيه الذهب و الفضة و أن نأكل فيها، و عن لبس الحرير و الديباج و أن نجلس عليه ".

و عن أبى المليح عن أبيه رضى الله عنه :" أن رسول الله صلى الله عليه و سلم نهى عن جلود السباع " رواه أبو داود و الترمذى و النسائى بأسانيد صحاح، و فى رواية الترمذى :" نهى عن جلود السباع أن تفترش ".

ثالثاً : استحباب المسكن الواسع :

يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ﴾ من الآية ٦ (الطلاق) .

أى اسكنوا هؤلاء المطلقات فى بعض مساكنكم التى تسكنونها، على قدر طاقتكم و مقدرتكم فإن كان موسراً وسع عليها فى المسكن و النفقة، و إن كان فقيراً فعلى قدر الطاقة، و لا تضيقوا عليهن فى السكنى و النفقة حتى تضطروهن إلى الخروج أو الافتداء .

و فى الآية نهى عن أن يضيق الرجل على مطلقته فى المسكن إن كان موســـراً [و ذلك أثناء فترة العده]، فما بالنا بحالة زوجين يعيشان معاً فى مسكن واحد فلا مانع مع توفر الإمكانات المادية اتخاذ المسكن الواسع .

و لقد قال الإمام البخاری فی کتابه الأدب المفرد :
حدثنا أبو نعيم و قبيصه قالا : حدثنا سفيان عن حبيب بن أبی ثابت عن خميل عن نافع بن عبد الحارث عن النبی صلی الله عليه و سلم قال : من سعادة المرء المسكن الواسع، و الجار الصالح، و المركب الهنيیء." و فی الحديث إشارة إلی استحباب المسكن الواسع لأنه من سعادة المرء .

و لا شك أن المسكن الواسع يساعد علی توفير عدد أكثر من غرف النوم مما يجعل للوالدين غرفة خاصة بهما مما يحافظ علی خصوصياتهم، كما يسمح بإمكانية جعل غرفة للذكور و أخری للإناث و ذلك تحقيقا لتوجيهات الرسول عليه الصلاة و السلام بالتفريق بين الأطفال فی المضاجع .

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضی الله عنه، قال: قال: رسول الله صلی الله عليه و سلم "مروا أولادكم بالصلاة و هم أبناء سبع سنين، و اضربوهم عليها و هم أبناء عشر، و فرقوا بينهم فی المضاجع" حديث حسن رواه أبـــــــو دواد.

كما أن السنة النبوية قد أوضحت أفضلية المجالس الواسعة و ذلك إذا سمحت المساحة المتاحة بذلك، فعن عبد الرحمن بن أبی عمرة الأنصاری قال: أخبرنا أبو سعيد الخدری بجنازة فعاد و قد تخلف حتی إذا أخذ الناس مجالسهم ثم جاء فلما رآه القوم تشذبوا [أی تفرقوا] فقام بعضهم ليجلس فی

مجلسه فقال: لا إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول :" إن خير المجالس أوسعها " ثم تنحى و جلس فى مجلس واسع .، رواه البخارى فى الأدب المفرد .

رابعاً : أفضلية توجيه المبانى السكنية جهة القبلة :

يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾ (يونس).

" قال أكثر المفسرين :"كان بنو إسرائيل لا يصلون إلا فى مساجدهم و كنائسهم و كانت ظاهرة فلما أرسل موسى أمر فرعون بمساجد بنى إسرائيل فخربت كلها و منعوا من الصلاة، فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم سراً و ذلك حين أخافهم فرعون فأمروا بالصبر و اتخاذ المساجد فى البيوت "[١] .

"و قال العوفى عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية قال : قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام لا نستطيع أن نظهر صلاتنا مع الفراعنة فأذن الله تعالى لهم أن يصلوا فى بيوتهم و أمروا أن يجعلوا بيوتهم قبل القبلة، و قال مجاهد: لما خاف بنو إسرائيل من فرعون أن يقتلوا فى الكنائس الجامعة أمروا أن يجعلوا فى بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة [٢] يصلون فيها سراً و كذا قال قتادة و الضحاك"[٣] و فى شريعة المسلمين فإن صلاة النافلة فى البيت أفضل من صلاتها بالمسجد، فعن زيد بن ثابت

---

(١) تفسير القرطبى .

(٢) قال بعض المفسرين أن قبلة اليهود فى ذلك الوقت هى بيت المقدس، و هذا هو الرأى الذى نميل إليه .

(٣) تفسير ابن كثير .

رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: " أيها الناس صلوا فى بيوتكم فإن أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة " متفق عليه .

مما سبق فإنه يمكن القول بأفضلية توجيه المبانى السكنيه و غرف المسكن جهة القبلة أو عمودياً عليها و ذلك لتسهيل عملية أداء الصلاة فى هذه الغرف إلى جانب أنه يسهل من الجلوس أو النوم على الجانب الأيمن تجاه القبلة بسهولة و يسر مما يحقق سنة نبوية جليلة، فعن أبى هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إن لكل شيىء سيداً وإن سيد المجالس قبالة القبلة " رواه الطبرانى بإسناد حسن .

من ذلك فإنه يمكن للمصممين خاصة فى المدن و الأحياء الجديدة أن يقوموا بتوجيه المبانى السكنيه تجاه القبلة و خاصة إذا ماسمحت ظروف الموقع بذلك .

خامساً : الاقتصاد و الاتقان فى بناء المسكن :

يجب مراعاة الجوانب الإقتصادية عند تصميم و بناء المساكن و لكن مع الإتقان، و يمكن أن نلمح استحسان إتقان البناء و صلابته فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ (الصف) .

فالله سبحانه و تعالى يحب المجاهدين الذين يصفون أنفسهم عند القتال صفاً و يثبتون عند لقاء العدو كأنهم بناء قد

رص بعضه ببعض و ألصق و أحكم حتى صار شيئاً واحداً، قال القرطبى فى تفسيره: و معنى الآية أنه تعالى يحب من يثبت فى الجهاد فى سبيل الله و يلزم مكانه كثبوت البناء .

و فى الآية استحسان لإتقان البناء و صلابته و ثبوته و يكون ذلك برص الطوب أو الحجر و مراعاة الدقة فى البناء و استخدام أدوات البناء من موازين و خيوط و ما شابه مما يجعل البناء كقطعة واحدة ثابته .

و يدخل فى الجانب الإقتصادى ترميم و صيانة المبانى و ذلك للمحافظة عليها فلقد قال البخارى فى كتابه الأدب المفرد : حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثنا الليث قال : حدثنا ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: كان عمر يقول على المنبر : "يا أيها الناس أصلحوا عليكم مثاويكم، و أخيفوا هذه الجنان قبل أن تخيفكم، فإنه لن يبدو لكم مسلموها، و إنا و الله ما سالمناهن منذ عاديناهن." و المقصود بمثاويكم أى مساكنكم .

فعمر بن الخطاب رضى الله عنه يأمر الناس بأن تصلح مساكنها و يدخل فى إصلاحها ترميمها و صيانتها و ذلك حفاظاً عليها و حتى لا تبدو و كأنها خربة .

و نلمح إشارة من خلال إحدى أيات القرآن الكريم فيها تنبيه إلى أهمية ترميم و تنكيس المبانى، حيث يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ ﴾ (الكهف) .

"يريد أن ينقض" أى قرب أن يسقط، فالآية توضح من خلال قصة الخضر مع سيدنا موسى كيف أن الخضر عليه السلام قد أقام جداراً قد أصبح آيلا للسقوط، و الإشارة التى نلمحها فى هذه الآية هى الدعوة إلى أهمية ترميم و صيانة المبانى خاصة الآيلة للسقوط و ذلك حرصاً على حياة المارة السائرين بجانبها أو من تحتها هذا من جانب، و من جانب آخر فإن عمليات الترميم و الصيانة هذه تطيل من العمر الإفتراضى للمبانى مما يسمح باستعمالها لأكبر فترة ممكنة مما يحافظ على اقتصاديات المجتمع و أفراده .

و مما يؤكد هذا المعنى و الذى أشرنا إليه فى الآية الكريمة ما قاله الإمام البخارى فى كتابه الأدب المفرد: "حدثنا سليمان بن حرب قال:حدثنا جرير بن حازم عن الأعمش عن سلام بن شرحبيل عن حبة بن خالد و سواء بن خالد أنهما أتيا النبى صلى الله عليه و سلم و هو يعلج حائطا [أو بناء] له فأعاناه".

و بصفة عامة فإنه يمكن للمصمم أن يراعى العامل الاقتصادى و يحققه فى تصميماته بأساليب يسيره كأن يقوم بتوفير الدواليب الحائطية الثابتة خاصة فى غرف النوم، أو

بتوفير بعض الأثاث المبنى [المصاطب]، كما يمكن تصميم النوافذ بحيث تبرز جلساتها للخارج بعمق يكفى و يسمح باستخدامها كمقعد من داخل الغرف، و لقد رأينا فى المساكن الإسلامية القديمة أن الأثاث كان يستعمل نهاراً للجلوس عليه و استقبال الزوار و ليلا لنوم أهل البيت، و بذلك يكون المصمم قد ساهم فى تقليل التكاليف الماديه التى يتكبدها الساكن فيما بعد لتأثيث المسكن بعد أن يقطن فيه .

سادساً : النهى عن التطاول فى البنيان :

جدير بالذكر أن نلفت النظر إلى نهى الرسول عليه الصلاة و السلام عن التطاول فى البنيان لأنه من علامات الساعة كما أنه مدعاة للتفاخر و التباهى مما يتعارض مع تعاليم الدين الحنيف، كما يمكن أن يكون فيه استطالة على الجيران مما يكشف عوارتهم أو يمنع عنهم الريح، و لقد روى البخارى فى الأدب المفرد ما يشير إلى النهى عن التطاول فى البنيان حيث قال : حدثنا إسماعيل حدثنى ابن الزناد عن أبيه عن عبد الرحمن الأعرج عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:" لا تقوم الساعة حتى يتطاول الناس فى البنيان."

و بالسند عن عبد الله قال أخبرنا على بن مسعدة عن عبد الله الرومى قال: دخلت على أم طلق فقلت : " ما أقصر سقف بيتك هذا! قالت : يا بنى إن أمير المؤمنين عمر بن

الخطاب رضى الله عنه كتب إلى عماله أن لا تطليلوا بناءكم، فإنه من شر أيامكم".

لذلك فإنه يجب أن يراعى تعدد الطوابق فى العمارات السكنية و لكن للحد الذى يضمن التوازن بين الكثافات السكنية و المسطحات التى تبنى عليها و كذلك للوقاية من الأمراض الإجتماعية و الأضرار الأخلاقية الناتجة عن هذا التطاول .

سابعـاً : الفصل بين عناصر الإتصال الرأسية للرجال و النساء :

ورد فى الحديث النبوى الصحيح:"من يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها، فإن ثالثهما الشيطان"، كما يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ ﴾ من الآية ٥٣ (الأحزاب) .

فالمنهج الإسلامى ينهى عن اختلاء الرجال بالنساء منعاً للحرج بالنسبة للطرفين و درءاً للمفاسد، و القاعدة الفقهية تقول: "درء المفاسد مقدم على جلب المنافع" .

لذلك فيجب مراعاة الفصل بين عناصر الاتصال الرأسية لكل من الرجال و النساء ففى حالة توفر الإمكانات المادية فيفضل تخصيص مصعد للنساء و آخر للرجال، و فى حالة وجود مصعد واحد فيفضل وضعه داخل بئر الدرج حتى يكون مكشوفاً من

بداخل المصعد لمن يستعمل الدرج، أو أن يوضع المصعد على إحدى واجهات المبنى الخارجيه و تصمم جوانبه من الزجاج .

ثامنـــا : بيوت الخلاء :

يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ ﴾ من الآية ٤٣ (النساء) .

و الغائط هو المكان المطمئن كنى بذلك عن التغوط و هو الحدث الأصغر، و أصبح لفظ "الغائط" يطلق على كل مكان أعد لذلك مجازاً .

و فى الآية الكريمة إشارة إلى بيوت الخلاء و هو ما يعرف باسم دورات المياه و التى يتخلى فيها الإنسان لقضاء حاجته، و لقد جاء ذكر الغائط فى العديد من الأحاديث النبوية، فعن الإمام البخارى أنه قال : حدثنا آدم قال حدثنا ابن أبى ذئب قال حدثنا الزهرى عن عطاء بن يزيد الليثى عن أبى أيوب الأنصارى قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة و لا يولها ظهره، شرقوا أو غربوا " رواه البخارى .

و النهى فى هذا الحديث ليس مطلقاً بل يكون فى الفضاء أو الصحراء، و ينتفى هذا النهى إذا كان بين قاضى الحاجة و القبلة ساتر فى الصحراء، كما تستثنى الأبنية المعدة لقضاء الحاجه فلا حرمة فيها مطلقاً .

و قد ذكر البخارى فى صحيحه فى باب "التبرز فى البيوت" : حدثنا إبراهيم بن المنذر عن عبد الله بن عمر قال: " إرتقيت فوق ظهر بيت حفصة لبعض حاجتى فرأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقضى حاجته مستدبر القبلة مستقبل الشام" .

مما سبق فإنه يفضل فى تصميم دورات المياه ألا تستقبل أو تستدبر القبلة، كما يفضل فصل المرحاض بباب مستقل فذلك أدعى للطهارة كما يسهل من استعمال باقى الأجهزة الصحية من حوض و بانيو فى حالة استعمال شخص للمرحاض، كما يفضل إذا أمكن بالنسبة لحوض غسيل الأيدى و الوضوء أن يكون قبالة القبلة لتحقيق إحدى سنن الوضوء للمتوضىء و ذلك باستقبال القبلة أثناء وضوئه .

****

هذه هى أهم المعايير التصميمية الواجب توافرها فى مسكن المسلم المعاصر، و هى كلها مستنبطة من الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية واضعة بذلك الثوابت الواجب توافرها فى مسكن المسلم مع مراعاة التوافق مع كل بيئة يبنى فيها المسكن على اختلاف هذه البيئات، و كذلك الإمكانات المادية لقاطنى هذه المساكن، و قد صدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ (التوبة) .

الفصل الثالث

المأوى كمكان للعبادة

[المسجد]

المبحث الأول

حديث القرآن و السنة عن مبانى العبادة

سنحاول أن نوضح فى هذا المبحث حديث القرآن الكريم عن مبانى العبادة مع تدعيم الآيات القرآنية بالأحاديث النبوية كلما أمكن ذلك .

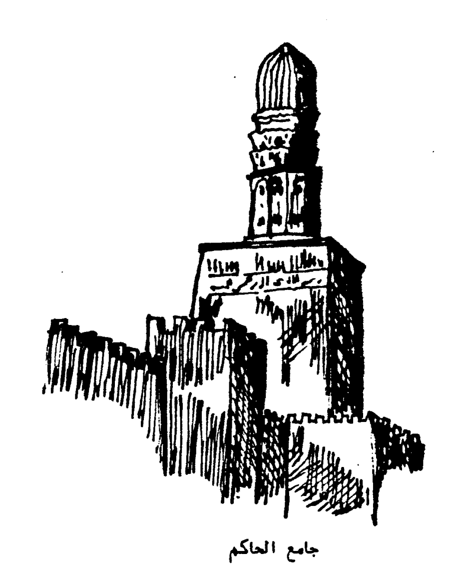
مبانى العبادة عند اليهود و النصارى و المسلمين :

لم يغفل القرآن الكريم عن ذكر أنواع مبانى العبادة المختلفة عند أهل الشرائع السماوية و هم اليهود و النصارى و المسلمين، حيث يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ (الحج) .

أى لولا هذا الدفع لهدم فى زمن سيدنا موسى "الصلوات"، و فى زمن سيدنا عيسى "الصوامع و البيع" و فى زمن سيدنا محمد عليه الصلاة و السلام "المساجد" .

"و الصوامع جمع صومعه و هو بناء مرتفع و كانت قبل الإسلام مختصة برهبان النصارى و بعباد الصابئين، قال قتاده: ثم استعمل فى مئذنة المسلمين، و البيع جمع بيعه و هى كنيسة النصارى، و الصلوات هى كنائس اليهود، فعلى ذلك فالصوامع



جامع الحاكم



كنيسة أبو مقار

[مباني العبادة المختلفة]

للرهبان و البيع للنصارى و الصلوات لليهود، و المساجد للمسلمين". [١]

و لقد ورد فى الحديث النبوى ذكر الصومعه، فعن أبى هريرة رضى الله عن النبى صلى الله عيه و سلم قال :" لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة : عيسى بن مريم و صاحب جريج، و كان جريج رجلا عابداً فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه و هو يصلى...."[٢] إلى آخر الحديث، و هو حديث متفق عليه .

و ما يهمنا فى الحديث هو ذكر "الصومعة" كمكان لعبادة رجل من بنى إسرائيل .

و جدير بالذكر هنا أن نوضح أن الكنائس محل العبادة عند النصارى و معبد اليهود و المجوس و هى مرادفة للفظ"بيعة" الواردة فى القرآن الكريم و لكن أطلقت اللفظة حديثاً على معبد المسيحيين وحدهم.[٣]

أهم مساجد الإسلام :

المساجد هى بيوت الله فى الأرض، و لقد ورد لفظ "المسجد" معرفاً فى آيات القرآن الكريم نحو "سبعة عشر مرة، منها خمسة عشر مرة " [٤] جاء لفظ المسجد موصوفاً "بالحرام" أى "المسجد الحرام" مما يدل على أن المسجد الحرام هو أهم مساجد الأرض على الإطلاق وأعظمها مكانة وقدسية ، والمسجد الحرام هو أول بيت وضع للناس على الارض حيث يقول

---

(١) تفسير القرطبى.

(٢) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، للإمام النووى .

(٣) موسوعة العمارة الإسلامية، د/ عبد الرحيم غالب.

(٤) "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم"، محمد فؤاد عبد الباقى .

سبحانه وتعالى :-

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران) .

فعلى ذلك فإن أول مسجد بنى فى الأرض لعباده الله هو المسجد الحرام ، فعن الشعبى عن على رضى الله عنه قال : "كانت البيوت قبلة ولكنه أول بيت وضع لعبادة الله"، وزعم السدى أنه أول بيت وضع على وجه الأرض مطلقاً ، والصحيح قول على رضى الله عنه . [١]

ولقد ورد فى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :"لاتشد الرحال إلا لثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى " .

فالحديث النبوى قد ذكر أهم مساجد الإسلام مرتبة حسب مكانتها ، فأهمها على الإطلاق هو المسجد الحرام ثم يلية فى المكانة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام والذى بناه فى المدينة المنورة بعد الهجرة إليها من مكه ، ثم المسجد الأقصى ببيت المقدس مسرى رسولنا الكريم ، حيث يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الاسراء) .

---

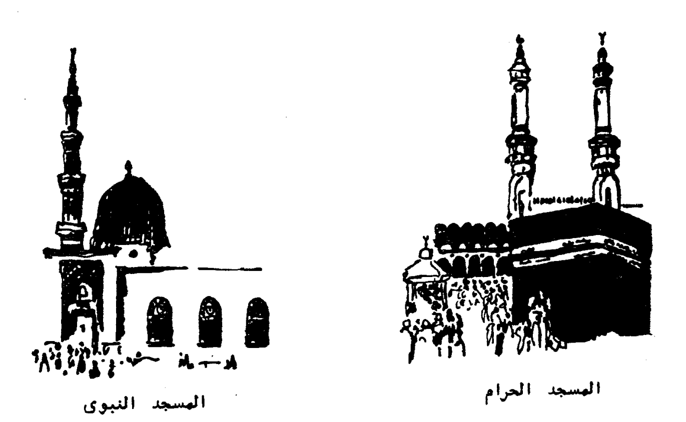
(١) فتح البارى، للإمام ابن حجر العسقلانى .

و تخبرنا السنة النبوية بأن المسجد الأقصى بنى بعد المسجد الحرام بأربعين سنة ، فعن الإمام أحمد قال : حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت يارسول اللـــــه: أى مسجد وضع أول ؟ .... قال : المسجد الحرام ، قلت ثم أى ؟ قال : ثم الأقصى ، قلت كم بينهما ؟ قال : أربعون سنه ، قلت ثم أى ؟ قال : ثم حيث أدركتك الصلاة فصل فكلها مسجد " أخرجه البخارى ومسلم .

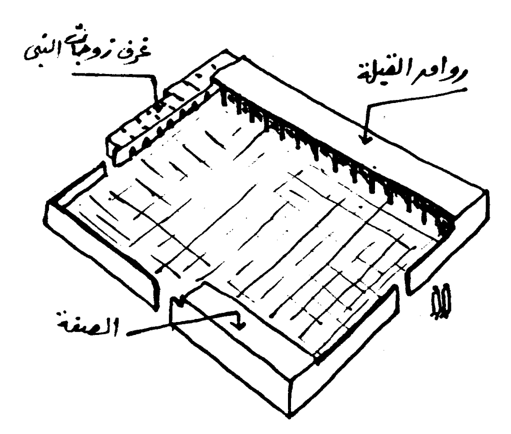
ومن المساجد الهامة التى جآء ذكرها فى القرآن الكريم هو مسجد "قباء" حيث يقول الله سبحانه وتعالى :-

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ ١٠٨ (التوبة) .

وقوله تعالى : " لا تقم فيه أبدا " عائد على الآية السابقة لهذه الآية فى سورة التوبه حيث نهى الله رسوله على أن يصلى فى " مسجد الضرار" والذى بناه المنافقون ضرارا لمسجد قباء ، ثم حث الله نبيه على الصلاة بمسجد " قباء " الذى أسس من أول يوم بنيانه على التقوى وهى طاعة الله وطاعة رسولة ولقد أسسه الرسول عليه الصلاة والسلام عند أول قدومه إلى المدينة المنورة ونزوله على بنى عمرو بن عوف ولقد ورد فى الحديث الصحيح أن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فى جوف



المسجد النبوى   المسجد الحرام



المسجد النبوى على عهد الرسول عليه الصلاة و السلام

[أهم مساجد الإسلام]

المدينة هو المسجد الذى أسس على التقوى ، حيث قال الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الله بن عامر الأسلمى عن عمران بن أبى أنس عن سهل بن سعد عن أبى بن كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "المسجد الذى أسس على التقوى مسجدى هذا " تفرد به أحمد .

و لا منافاة بين الآية و الحديث لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى من أول يوم فمسجد الرسول عليه الصلاة و السلام أولى و أحرى أن يوصف بذلك أيضاً.

مما سبق نجد أن أهم المساجد التى جاء ذكرها فى آيات القرآن الكريم و الأحاديث النبوية هى المسجد الحرام أول بيت وضع لعبادة الله على الأرض و المسجد الأقصى و الذى بنى بعده بأربعين سنة كما ورد فى السنة النبوية الشريفة، أما مسجد قباء فهو أول مسجد أسسه رسولنا الكريم عند أول قدومه إلى المدينة المنوره ثم بعد ذلك قام ببناء مسجده المعروف فى المدينة المنورة .

و نظراً لما يتميز به المسجد الحرام من معانى و خصوصيات فى عمارته فسنحاول أن نوضح هذه الخصوصيات فيما يلى .

خصوصيات عمارة المسجد الحرام :

عندما نقف متأملين أمام أول بيت وضعه الله للناس محاولين أن نستلهم الأساس المعمارى الذى وضعه الله لأول بيت

للعباده على الأرض و هو البيت الحرام تتضح لنا بعض المعانى فى عمارة المسجد الحرام و التى ميز الله بها بيته عن سائر البيوت و العمائر الأخرى، فلقد اشتمل المسجد الحرام على الحركات الأساسية و التى يمكن للبشر أن يتحركوا من خلالها، و هى الحركة الدائريه فى طواف الحجيج و المعتمرين حول الكعبة[١]، و الحركة الأفقية المستقيمة فى السعى بين الصفا و المروه، و هذه الحركات فى المسجد الحرام حركات و تحركات أساسية لازمة بمعنى أن وظيفة المسجد الحرام و التى تتمثل أصلا فى الطواف و السعى لا يمكن الإستغناء عنهما فيه و هى خاصية ميزه بها الله سبحانه و تعالى على سائر المساجد الأخرى فى مختلف بقاع الأرض حيث يقول سبحانه و تعالى فى الطواف :-

﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ من الآية ١٢٥ (البقرة) .

كما يقول فى السعى :

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ ١٥٨ (البقرة) .

---

(١) مما يلفت النظر أن حركة الطواف حول الكعبة المكرمة تكون عكس حركة عقارب الساعة و نرى ذلك فى حركة الكواكب حول الشمس فى المجموعة الشمسية و هذا ما نلاحظه أيضا فى حركة الإلكترونات و البروتونات حول النواة فى الذرة، فصدق الله العظيم حيث يقول :{ فلن تجد لسنة الله تبديلا و لن تجد لسنة الله تحويلا }(فاطر آية ٤٣) .

و على ذلك فإن توجيه الحركه داخل المسجد الحرام يعتبر إعجازاً و تحدياً للمعماريين على مر العصور، فيمكن للمعمارى أن يصمم مبنى على شكل دائره لتكون الحركه به دائريه و لكن يمكن لمعمارى آخر أن يصمم نفس المبنى على شكل مربع فتصبح الحركه على شكل خطوط مستقيمه، و على ذلك فإن المسجد الحرام هو المكان الوحيد الذى به الحركة الدائريه لازمة و لا يمكن تغييرها إلى أى شكل آخر من أشكال الحركه لأن الطواف حول الكعبة يوجب تلقائياً الطواف فى خطوط دائريه، كما أن الحركه المستقيمه به لازمه لأن السعى بين جبلى "الصفا" و "المروه" يكون على شكل خطوط مستقيمه و الحركه هنا أيضاً لا يمكن تغييرها .

و على هذا فإن المسلمين عندما يلتزمون بهذا التوجيه فى الحركه سواء كانت دائريه حول الكعبه أو مستقيمه عند السعى بين الصفا و المروه فإن هذا الإلتزام ينبنى على طاعة الله و الإلتزام بأوامره، و هنا يتجلى معنى عميق لعمارة المسجد الحرام و توجيه الحركه بداخله لا يمكن أن توجد فى أى مبنى آخر مهما بلغت روعة تصميمه لأن الذى وضع أسس توجيه الحركه داخل المسجد الحرام هو الله سبحانه و تعالى، و لكن يبقى للمعمارى المسلم أن يتعلم الدرس الإلهى فى أسلوب توجيه الحركه من أول بيت وضعه الله للناس على الأرض .

و على ذلك فإنه يمكن أن نعرف العماره من هذه الوجهه بأنها : " أسلوب توجيه الحركه داخل الفراغات المعماريه" و يشكل هذا التعريف إلى جانب التعريفات الأخرى لفن العماره مفهوماً يجب أن يتنبه إليه المصممون و هو أن من عناصر نجاح أى مبنى فى تأدية وظيفته أن يتم توجيه الحركه داخله توجيهاً صحيحاً بين عناصر و وحدات هذا المبنى إلى جانب الفصل بين مسارات الحركه المختلفة خاصة فى المبانى الكبيره و التى تتعدد فيها الوظائف و الخدمات حيث تتعدد مسارات الحركه بالنسبه لمستعملى هذا المبنى .

و إذا كنا قد أوضحنا أن المسجد الحرام يتميز عن سائر مساجد الأرض لأن به الكعبه المكرمه و التى تعتبر مركزا يطوف المسلمون حوله، فإنها أيضاً هى القبلة للمصلين بالمسجد الحرام .

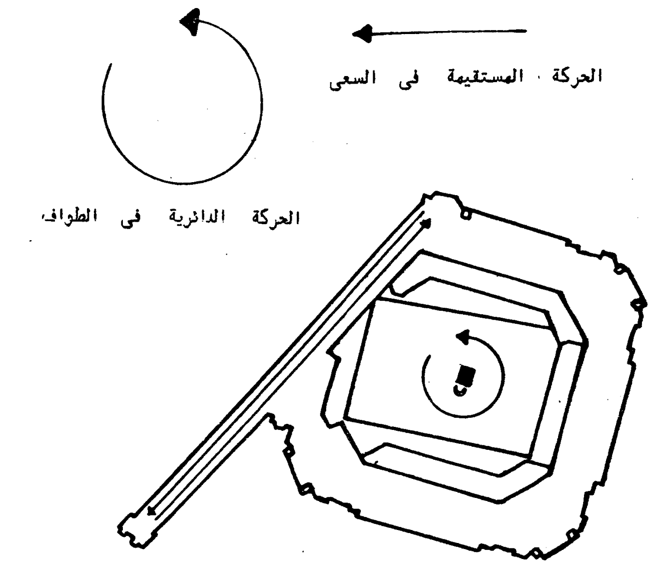
فلقد روى ابن جريج عن عطاء عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "البيت قبلة لأهل المسجد، و المسجد قبلة لأهل الحرم، و الحرم قبلة لأهل الأرض فى مشارقها و مغاربها من أمتى".[١]

و الشاهد فى الحديث الشريف أن البيت أى الكعبه المكرمه هى قبلة لأهل المسجد و ذلك فإن استقبال عين الكعبة[٢] - لا جهتها - شرط لصحة الصلاة داخل المسجد الحرام، و ذلك لمن يراها، و من هنا فإننا نجد أن الشكل الدائرى أو المثمن بحيث

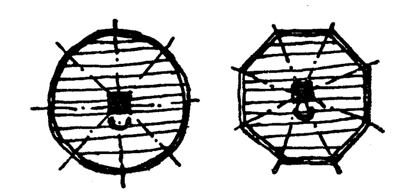
---

(١) تفسير القرطبى .

(٢) ارجع الى كتاب "الصلاة" من الفقه على المذاهب الأربعة، مبحث استقبال القبلة .



الحركات الأساسية داخل المسجد الحرام



الشكل الدائرى أو المثمن يصلحان فقط للمسجد الحرام

تكون الكعبه المكرمه فى مركز هذا الشكل هو الشكل الأمثل للمسقط الأفقى للمسجد الحرام حتى يتيح للمصلين فى المسجد الحرام أن يستقبلوا عين الكعبه بسهولة و يسر، كما أن الشكل الدائرى أو المثمن يتناسب مع حركة الطائفين حول الكعبة فى دوائر متتاليه و بذلك نجد أن الشكل الدائرى ينبع من مضمون الوظيفه الرئيسيه للمسجد الحرام سواء كان ذلك فى الصلاة أو الطواف .

لذلك فإنه من الناحية العملية فإنه يجدر بنا أن نصل بشكل المسجد الحرام إلى الشكل الدائرى أو المثمن و ذلك من خلال الزيادات التى تضاف إلى مساحته كل مدة زمنية، أو على الأقل إذا كانت هذه الزيادات من جهات معينه دون الأخرى فيحسن أن تأخذ خطوطا دائريه بحيث يكون مركزها الكعبه المكرمه الأمر الذى يساعد على توجيه المصلين نحو عين الكعبة بسهولة و يسر و هو ما يحقق أحد شروط صحة الصلاة داخل المسجد الحرام .

المبحث الثانى
تأثير المنهج الإسلامى على عمارة المساجد

المساجد هى بيوت الله على الأرض و هى المكان الذى اختاره سبحانه و تعالى لإقامة الصلاة فيه حيث يقول :

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾ (النور) .

و للمسجد رسالة كبرى فى المجتمع المسلم فهو أولا مكان للعباده كما أنه معهد و مدرسة تتربى فيها أجيال المسلمين إلى جانب ما يؤديه من الفصل فى المنازعات بين المسلمين و كذلك الخدمات الثقافيه و الطبيه فى بعض الأحيان، أما الآن فإن العديد من هذه الوظائف تؤدى من خلال المجمعات الإسلاميه و الذى يعتبر المسجد النواة الأساسية لها .

و نحن فى بحثنا عن المعايير التصميمية الأساسية لعمارة المساجد نعتمد فى ذلك على المنهج الإسلامى النابع من آيات القرآن الكريم أو أحاديث الرسول عليه الصلاة و السلام إلى جانب توجيهات علماء المسلمين الأفاضل سوآء الأوائل أو المعاصرين، و لقد فصلنا المعايير التصميمية الأساسية للمسجد المعاصر فيما يلى :

أولا : التوجه للقبلة كأساس لتصميم المساجد :

يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ (البقرة) .

سبق أن أوضحنا أنه بالنسبة للمسجد الحرام فإن الشكل الدائرى أو المثمن لمسقطه الأفقى حيث تكون الكعبه هى مركز هذا الشكل، حيث تلتف صفوف المصلين متخذه هذا الشكل الدائرى و متجهة إلى عين الكعبة، هى خاصية و شكل يجب أن يتميز به شكل المسقط الأفقى للمسجد الحرام عن سائر مساجد الأرض .

أما بالنسبة للمساجد الأخرى - حتى ما كان منها داخل مكه - فإن اتجاه صفوف المصلين فيها تكون موازيه لحائط القبلة و الذى يتعامد بدوره على جهة مكه حيث المسجد الحرام، فإن المسقط الأفقى المستطيل حيث حائط القبلة يمثله الضلع الأكبر فى هذا المستطيل هو أنسب المساقط و الأشكال للمساجد فى أى بقعة من بقاع الأرض .

ثانياً : الأساس هو تمييز حائط القبلة و كراهية المحراب المجوف :

ويتضح المنهج الإسلامى فى فعل الرسول عليه الصلاة و

السلام عند بنائه لمسجده بالمدينه المنوره، فقبل تحويل القبلة كان حائط القبلة من جذوع النخل و باقى حوائط المسجد من الطوب اللبن و بعد تحويل القبلة جهة مكة أصبح حائط القبلة من الحجر المنضود دون سائر حوائط المسجد المنية بالطوب اللبن.[١]كما أن أول استعمال للمحراب المجوف بالمسجد النبوى عام ٩٢ هجرية فى عمارة عمر بن عبد العزيز، و قد روى البيهقى من حديث ابن عمر قال: "إنما كانت للكنائس فلا تشبهوا بأهل الكتاب " أخرجه البزار .

و قال الشيخ ناصر الدين الألبانى : " جزم السيوطى فى كتابه " إعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب" أن المحراب فى المسجد بدعة، و تبعه الشيخ على القارى فى "مرقاة المفاتيح" .[٢]

مما سبق نجد كراهية المحاريب المجوفة فى المساجد و خاصة أن الرسول عيه الصلاة و السلام قد وضع لنا الأساس المعمارى لمعرفة اتجاه القبلة و ذلك بتمييز حائط القبلة بمادة معماريه مخالفة لباقى حوائط المسجد كالخشب أو الحجر أو الطوب الظاهرأو الرخام عن باقى حوائط المسجد و ذلك حسب الإمكانات الماديه المتاحة .

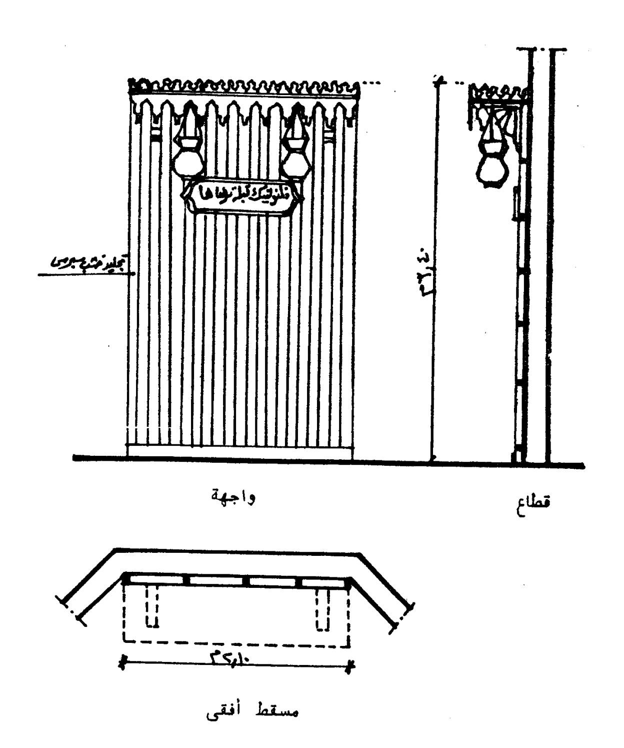
ثالثاً : يفضل فراغ معمارى واحد بدون أعمدة لقاعة الصلاة :

فلقد روى الحاكم عن أنس رضى الله عنه قال : "كنا ننهى

---

(١) من مقال "أصول روحية للعمارة الإسلامية - القبلة و المحراب"، للأستاذ/ عبد المجيد وافى، مجلة منبر الإسلام، عدد "٣" سنة ٣٢، سنة ١٩٧٤م - بتصرف .

(٢) المسجد فى الإسلام، خير الدين وائلى .



حائط القبلة من الخشب، بمسجد كلية الطب البيطرى.

[تصميم المؤلف]

عن الصلاة بين السوارى و نطرد عنها"، كما أنه يفضل أن يرى المصلين الخطيب أثناء القائه لخطبة الجمعة و رؤية طلاب العلم العلماء أثناء إلقاء الدروس بالمسجد .

لذلك يفضل تقليل عدد الأعمدة فى قاعة الصلاة حتى لا تقطع صفوف المصلين و تعوق رؤية الخطيب على المنبر، كما يستحسن وجود فراغ معمارى واحد لقاعة الصلاة بدون أعمدة، ففى حالة توفر الإمكانات المادية و التقنيات اللازمة للتنفيذ فيمكن استخدام الأسقف ذات البحور الكبيرة أو الأسقف القشرية لإيجاد فراغ معمارى واحد لقاعة الصلاة .

رابعاً : كراهية الزخارف و الكتابة على حوائط المسجد :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أمرت بتشييد المساجد"، أى رفع البناء بالشيد و الجص، و قال ابن عباس روای الحديث: "لتزخرفنها كما زخرفت اليهود و النصارى " رواه أبو داود و سنده صحيح ، و ليس معنى الحديث عدم الاهتمام بمتانة البناء بل المراد به البساطة و عدم الزخرفة .

كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " من أشراط الساعة أن يتباهى الناس فى المساجد " رواه أبو داود و سنده صحيح .

كما روى البخارى فى صحيحه أن عمر رضى الله عنه قال:
" أكن الناس من المطر و إياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس".

أما بالنسبة للكتابة على جدران المسجد فللمذاهب المختلفة آراء في ذلك[١]: المالكية : قالوا إن كانت الكتابة فى القبلة كرهت لأنها تشغل المصلى سواء كان المكتوب قرآنا أو غيره و لا تكره فيما عدا ذلك .

الشافعية : قالوا تكره كتابة شيء من القرآن على جدران المسجد و سقوفه و يحرم الاستناد لما كتب فيه من القرآن بأن يجعله خلف ظهره .

الحنابلة : قالوا تكره الكتابة على جدران المسجد و سقوفه، و إن كان فعل ذلك من مال الوقف حرم فعله و وجب الضمان على الفاعل .

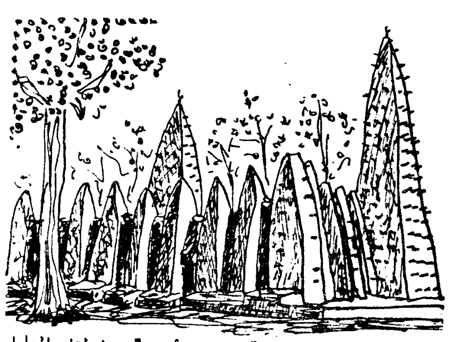
الحنفية : قالوا لا ينبغى الكتابة على جدران المسجد خوفا من أن تسقط و تهان بوطء الأقدام .

مما سبق نجد كراهية زخرفة جدران أو سقوف المساجد أو الكتابة عليها حتى لو كان المكتوب شيئاً من القرآن لأن ذلك فيه شغل للمصلى عن ذكر الله، كما أن فيه تبذير و إضاعة لأموال المسلمين فيما لا ينفع .

لذلك ففى البيئات التى تتوفر فيها الإمكانات المادية فلا مانع من الاهتمام ببناء المسجد و بتشطيبه و لكن دون بذخ أو خروج عن قواعد الدين، و يمكن ترجمة ذلك معمارياً بأن تكون اللمسات الجمالية فى واجهات المسجد الخارجية و مداخله، أما

---

(١) من كتاب "الفقه على المذاهب الأربعة" .



المسجد الكبير فى "بوبو ديالاسو" بفولتا العليا

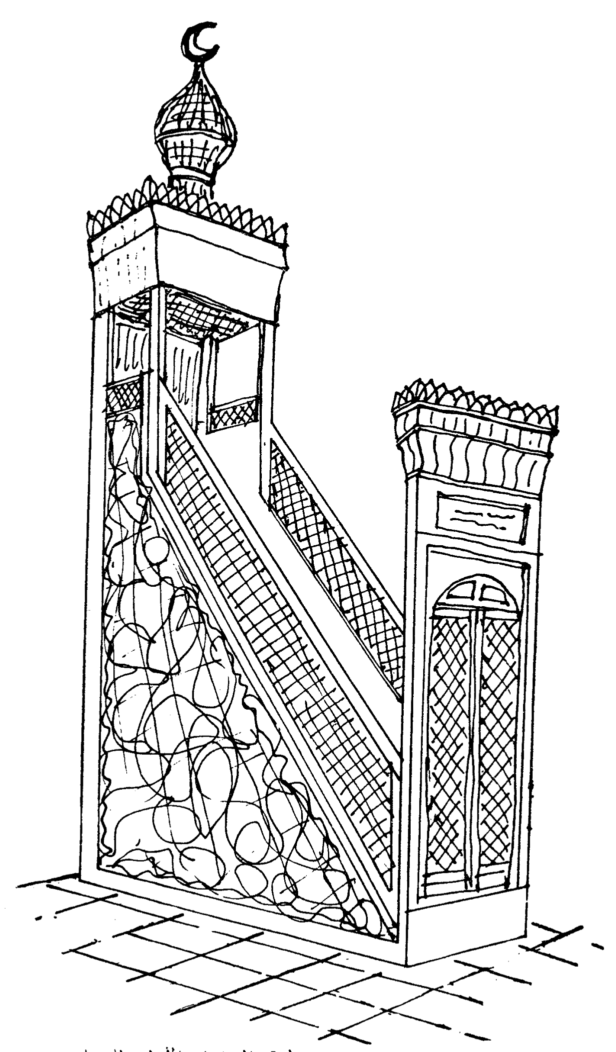
[ارتباط المسجد بالبيئة]

داخل قاعة الصلاة فيفضل البساطة التى تساعد المصلين على الخشوع، و لكن لا مانع من استخدام مواد نهو جيدة كتجليد الأجزاء السفلية من الحوائط بالخشب مثلا فى البيئات الباردة، أو الرخام فى البيئات الحارة، كل ذلك دون بهرجة فى الألوان أو الزخارف .

أما فى البيئات الفقيرة حيث تجمع التبرعات المادية لبناء المساجد، فلا يصح أن يخرج بناء المسجد عن عناصره الأساسية حيث أن الظروف الماديه لا تسمح بذلك، و لكن يجب أن يراعى الإتقان فى بناء المسجد مع استخدام مواد البيئة المتوفرة محلياً بأبسط طرق الإنشاء مما يقلل التكاليف، و من هنا يتجلى لنا أهمية ارتباط المسجد بالبيئة التى يبنى فيها .

خامســاً : كراهية المنابر الطويلة :

جاء فى سنن البيهقى ما رواه بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : " إن تميماً الدارى قال لرسول الله عليه الصلاة و السلام لما أسن و أثقل " ألا نتخذ لك منبراً يحمل



المنابر التقليدية و التى تمتد قاطعة الصفوف الأولى للمصليين

أو يجمع عظامك أو «كلمة تشبهها» " فوافقه الرسول على ذلك فصنع "تميم" المنبر من خشب من طرفاء الغابة و هو خشب قوى الاحتمال طويل العمر و كان عبارة عن درجتين خشبيتين و درجة ثالثة للجلوس، و بذلك جاء المنبر النبوى بسيطاً فى شكله متيناً فى صناعته منطقياً فى وظيفته .

أما بالنسبة للمنابر الطويلة الموجودة فى أغلب المساجد فهى تشغل حيزاً كبيراً من المسجد مما يؤدى إلى قطع الصفوف الأولى للمصلين إلى كتلتين عن يمينها و يسارها، إلى جانب الإسراف و التبذير فى زخرفتها مما يزيد من تكاليف صناعتها و شغل المصلين بهذه الزخارف .

و على ذلك يفضل أن يكون المنبر بالمسجد عبارة عن ثلاث درجات بسيطة متين الصناعة، فهذا هو الشكل الذى أقره الرسول عليه الصلاة و السلام فهو أولى بالاتباع بدلا من المنابر الطويلة و التى ليس لها أية ميزة تمتاز بها على المنبر النبوى.

سادساً : المآذن :

لم تكن المآذن موجودة أصلا عند بناء المسجد النبوى، و تم ادخالها فى عهد عمر بن عبد العزيز حيث تم بناء أربع مآذن فى كل ركن من أركان المسجد مئذنة و ذلك فى سنة ٩٢ هـ، و يقول الشيخ ناصر الدين الألبانى: "إن المنارة المعروفة اليوم ليست من السنة فى شىء، غير أن المعنى المقصود منها و هو

التبليغ أمر مشروع بلا ريب فإذا كان التبليغ لا يحصل إلا بها فهي مشروعة لما تقرر في علم الأصول أن ما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب، غير أن من رأيي أن وجود الآلات المكبرة للصوت يغني عن اتخاذ المأذنة كأداة للتبليغ، لاسيما و هي تكلف الألوف المؤلفة من الليرات، فبناؤها و الحالة هذه مع كونه بدعة و وجود ما يغني عنه غير مشروع لما فيه إسراف و تضييع للمال، ومما يدل دلالة قاطعة على أنها صارت اليوم عديمة الفائدة أن المؤذنين لا يصعدون إليها البتة مستغنين عنها بمكبرات الصوت" .[١]

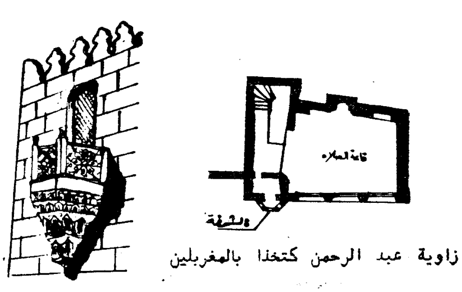
مما سبق فالمآذن الحالية أصبحت عديمة الفائدة من الناحية الوظيفية مما يجعل في بنائها إسراف و تبذير لأموال المسلمين، لذلك فإننا نرى أن تصمم المآذن بشكل رمزي مبسط، أو أن تكون على شكل شرفة رمزية تخرج ببروز صغير من سطح المسجد كما في بعض المساجد القديمة و المعاصرة[٢] بحيث يوضع عليها الهلال الذي يحدد اتجاه القبلة لمن يرى المسجد من الخارج .

أما إذا كان المسجد ضمن مجموعة معمارية كمركز إسلامي مثلا متعدد الطوابق فيمكن استخدام برج درج هذا المركز و الذي يؤدي إلى طوابقه المختلفة كرمز للمئذنة و بذلك لا نكون قد قمنا ببناء مئذنة مستقلة مما يزيد من تكاليف المبنى .

---

(١) المسجد في الإسلام، خير الدين وائلي .

(٢) وجدت هذه الشرفة بدلا من المئذنة فوق مدخل زاوية "عبد الرحمن كتخدا" بمنطقة المغربلين بالقاهرة القديمة، كما وجدت كبديل للمئذنة في أحد مساجد العصر الحديث و هو مسجد " أحمد زكي باشا" بمنطقة الجيزة في نهاية شارع المحطة من جهة كورنيش النيل .



زاوية عبد الرحمن كتخدا بالمغربلين

أما فى حالة المساجد الكبرى الجامعة مع توفر الإمكانات المادية، فإذا اقتضت الحاجة إلى بناء مئذنة لها فيجب ألا يقتصر وجودها على الشكل الجمالى أو التشكيلى فقط بل يجب أن يكون لها وظيفة أيضا كأن تكتسب صفة إنشائية مثلا حيث تستخدم كعنصر إنشائى حامل لسقف المسجد.

سابعـاً : النهى عن وجود المقاصير و القواطيع :

عن شرح الإمام مسلم:" لا يجوز اتخاذ المقاصير و لا يصلى فيها لتفريقها الصفوف و حيلولتها مع التمكن من المشاهدة.

كما قال الإمام ابن الحاج : " المقاصير و الدرابزين «القواطيع» من البدع المحدثة و قد ترتب بذلك جملة مفاسد : أولها : أن الموضع وقف للصلاة و ما فعل فيه لغيرها غصب لمواضع صلاة المسلمين، ثانيهما : أن فيه تقطيع الصفوف و ذلك خلاف السنة"[١].

أما بالنسبة لمقاصير النساء فيرى بعض الفقهاء أنها مستحسنة لما تحمى النساء من أنظار الرجال، و على ذلك فيمكن تحديد أماكن لصلاة النساء إذا كن يصلين مع الرجال فى نفس قاعة الصلاة بمقاصير أو قواطيع، و يفضل فصلهم فى دور مسروق يتصل فراغيا بقاعة صلاة الرجال .

---

(١) المسجد فى الإسلام، خير الدين وائلى.

ثامنـــا : النهى عن غرس الأشجار و وجود البرك فى صحن المسجد :

جاء فى حواشى الدر أن العلامة ابن أمير حاج حنفى ألف رسالة رد فيها على من جوز غرس الشجر فى المسجد قال فيها: "لأن فيه شغل ما أعد للصلاة و نحوها وإن كان المسجد واسعاً أو كان فى الغرس نفع بثمرته، ولا يجوز إبقاؤه لقوله عليه الصلاة و السلام: "ليس لعرق ظالم حق"[١] لأن الظلم فى وضع الشىء فى غير محله، و غرس الشجر فى صحن المسجد ينطبق عليه ذلك"[٢] .

و وافقه المحقق ابن أبى شريف الشافعى فى كتاب "الإقناع" و شرحه فى كتب الحنابلة يقول "يحرم غرس شجر فى مسجد لأن منفعته مستحقة للصلاة فتعطيلها عدوان فإن فعل قلعت الشجرة فإن لم تقلع فثمرها لمساكين المسجد و غيرهم" .

و ما ينطبق على غرس الأشجار ينطبق على وجود البرك و البحرات لنفس الأسباب السابقة .

مما سبق نجد النهى عن غرس الأشجار ووجود البرك والبحرات فى صحن المسجد لأن فيه شغل ما أعد للصلاة ، لذلك فى حالة وجود صحن فى المسجد فيجب الإهتمام بتبليط أرضياته ويمكن عمل مظلات من القماش أو أية مادة أخرى يمكن أن تستخدم فى حجبه عن السماء فى حالة نزول الأمطار أو أشعة

---

(١) حديث صحيح .

(٢) من كتاب "إصلاح المساجد من البدع و العوائد"، لعلامة الشام محمد جمال الدين القاسمى .

الشمس الحارقة حتى يمكن فرش الصحن واستعماله للصلاة عند امتلاء قاعة الصلاة بالمصلين .

كما يمكن الإستغناء عن البحرات والبرك بعد أن أصبحت المياه متوفرة بواسطة الصنابير و ذلك بعمل الميضات فيكون لكل متوضيء صنبور يأخذ منه الماء النظيف غير الملوث .

تاسعاً : الميضة و دورات المياه و خزائن الأحذية :

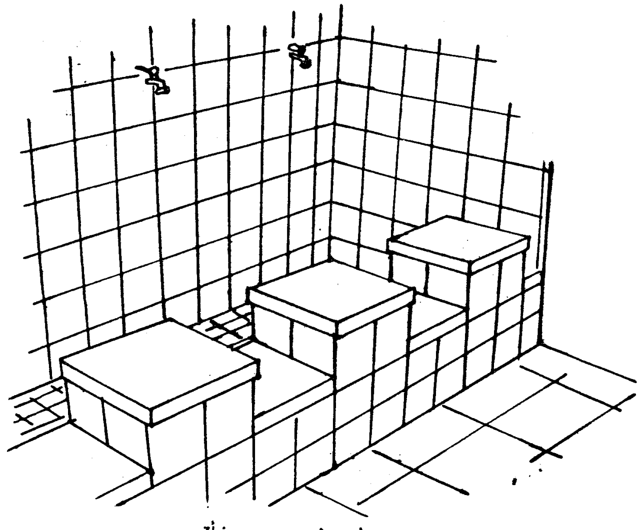
يتضح لنا المنهج الإسلامى فيما يلى :

أن الطهارة من الحدثين الأكبر و الأصغر شرط من شروط صحة الصلاة، كما أن الوضوء شرط من شروط صحة الصلاة .

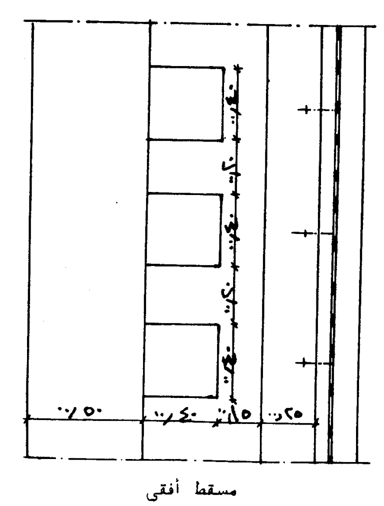
كما أن الإعتكاف بالمسجد خاصة فى العشر الأواخر من رمضان سنة مؤكدة عن الرسول عليه الصلاة و السلام .

مما سبق فلا مانع من أن يلحق بالمسجد دورات مياه للتغوط والتبول،وكذلك ميضة للوضوء، و لا مانع إذا سمحت المساحة و الإمكانات المادية فى إضافة أدشاش و ذلك لاستعمال المعتكفين أو عابرى السبيل الغرباء عن البلد، و لكن يستحسن أن يوجد مبنى منفصل لبيوت الخلاء و الميضة حفاظاً على طهارة المسجد و قاعات الصلاة، أما فى حالة تعذر إيجاد مبنى منفصل فيراعى أن يكون لبيوت الخلاء مدخل خاص منفصل عن مدخل المسجد كما يفضل ألا تكون دورات المياة فى اتجاه القبلة .

أما بالنسبة لأماكن الوضوء فيجب الوصول إليها بسهولة



منظور لجزء من ميضأة



مسقط أفقى

[مراعاة توفير كراسى ثابتة أمام الصنابير لتيسير الوضوء]

من بيوت الخلاء مع وجود فاصل أو حاجز بين الجزء غير الطاهر بدورات المياه و الجزء الطاهر بأماكن الوضوء و يفضل فى أماكن الوضوء أن تكون فى مواجهة القبلة لتحقيق أحدى سنن الوضوء بالنسبة للمتوضىء، و يستحسن أن يراعى المصمم توفير كرسى ثابت من الرخام أو الموزايكو أو القيشانى يكون موضوعا أمام كل صنبور بحيث يجلس عليه المتوضىء عند استعماله للصنبور، و فى حالة المساجد الكبيرة لا مانع من أن يلحق ببيوت الخلاء أماكن لاغتسال المصلين تسهيلا على المعتكفين بالمسجد أو الغرباء .

كما يفضل أن يخصص مكان بالقرب من مداخل المسجد يوضع به خزآئن خاصة للأحذية .

عاشــراً : معايير و تفاصيل أخرى متنوعة :

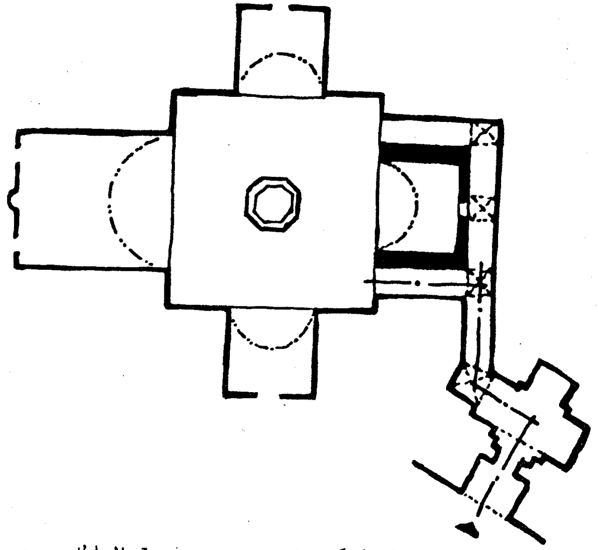
و هذه المعايير و التفاصيل هامة حيث أنها تيسر على المصلين و تجعل المسجد يؤدى وظيفته على أكمل وجه، و من هذه المعايير :

* يفضل أن يكون المسجد بالدور الأرضى فى حالة وجوده ضمن مركز إسلامى أو مجموعة معمارية، كما يجب ألا يرتفع كثيراً عن الأرض مما يجعل المصلين يصعدوا إليه بدرج مرتفع كما فى بعض المساجد[١]، فالأصل أن نسهل و نيسر على المصلين دخول المساجد و خاصة أن منهم كبار السن و النساء و الأطفال .

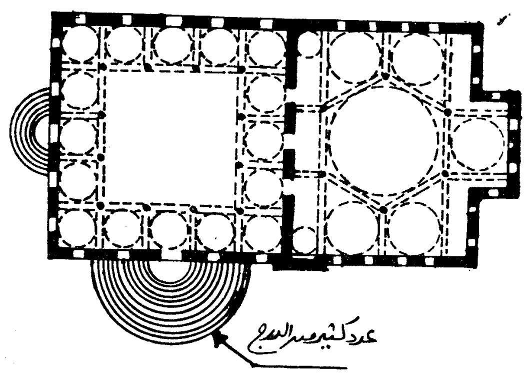
* و يفضل أن يراعى فى تصميم مداخل المسجد أن تكون

---

(١) كمسجد "الملكة صفية" بمنطقة الدرب الأحمر .



المدخل المنكسر فى مسجد و مدرسة السلطان حسن



مسجد الملكة صفية بالدرب الأحمر

بالحوائط الخلفية أو الجانبية للمسجد و تكون كمرحلة فاصلة بين الشارع الخارجي بضجيجه و قاعات الصلاة بهدوئها، كما تكون كمنطقة فاصلة يتهيىء فيها المصلون نفسيا لأداء الصلاة و ذكر الله، و هذا ما وجدناه في الكثير من المساجد القديمة كمسجد السلطان حسن حيث المسجد منكسر على نفسه أكثر من مرة بحيث يفصل قاعات الصلاة عن الشارع الخارجي .

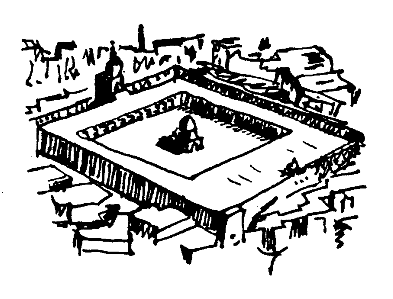
* مراعاة توفير الإضاءة و التهوية الطبيعية بقدر الإمكان و ذلك عن طريق صحن داخلي بالمسجد، أو عن طريق شخشيخة علوية أو النوافذ و التي يفضل أن تكون أعلى من مستوى بصر المصلين حتى لا ينشغلوا بما في خارج المسجد .

* يجب أن يراعي المصمم النسب و الأبعاد الداخلية للمسقط الأفقي لقاعات الصلاة و علاقتها بالإرتفاع حتى يوفر تصميم صوتي جيد داخل المسجد مما يساعد على سماع خطيب الجمعة أو دروس العلماء بسهولة ويسر ودون الإعتماد بقدر الإمكان على مكبرات الصوت الحديثة ، وهذا ما تم مراعاته في تصميم المساجد القديمة ، رغم كبر مساحتها حيث كانت مصممة بنسب وأبعاد تحقق تصميم صوتي جيد داخل قاعات الصلاة .

* يفضل أن يتم توفير غرفة كاستراحة لخطيب وإمام المسجد وفي حالة المساجد الكبيرة لا مانع من إضافة مكتبة وأجنحة خاصة يأوي إليها العلماء و طلاب العلم من الغرباء وذلك بشرط

عدم التضييق على المساحة المخصصة أصلا للصلاة ·

مما سبق يتضح لنا الأصل فى بناء وعمارة المسجد هو عدم شغل المصلى عن عبادة وذكر الله وتهيئة الجو المناسب لذلك من خلال الاستخدام الوظيفى لعناصر المسجد المعمارية دون إسراف أو تبذير ، كما يتضح لنا أنه لا مانع من استخدام تقنيات العصر الداخلة فى نطاق الإمكانات المادية للمجتمعات المسلمة ، مادامت هذه التقنيات تسهل من أداء المسجد لوظيفتة على أكمل وجه ·



الفناء الداخلى بمسجد أحمد بن طولون

الفصل الرابع

أنواع أخرى من المأوى

[مبانى عامة و متنوعة]

المبحث الأول

حديث القرآن و السنة عن المبانى العامة

يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ (٢٩) (النور) .

أباح الله سبحانه و تعالى فى هذه الآية رفع الاستئذان فى كل بيت لا يسكنه أحد لأن العلة فى الاستئذان إنما هى لأجل خوف الكشفه على الحرمات فإذا زالت العلة زال الحكم .

و قد روى عن أبى بكر رضى الله عنه أنه قال : " يا رسول الله، أفرأيت الخانات و المساكن فى طرق الشام ليس فيها ساكن "، فأنزل الله تعالى : " ليس عليكم أن جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة ..."[١]

و قال البخارى فى كتابه الأدب المفرد: حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا سفيان عن بن عون عن مجاهد قال : كان ابن عمر لا يستأذن على بيوت السوق "، و بيوت السوق أى الحوانيت .

و المتاع المذكور فى الآية السابقة هو الانتفاع فالطالب يدخل فى الخانكات و هى المدارس لطلب العلم، و الساكن يدخل الخانات و هى الفنادق، و الزبون يدخل الدكان للابتياع، و الحاقن يدخل الخلاء للحاجـــــة . [٢]

فتشير الآية الكريمة السابقة إلى المبانى العامة و دور

---

(١) (٢) تفسير القرطبى .

الضيافة و ما شابهها و أنه لا ينطبق عليها عناصر الخصوصية كما ينطبق على المبانى السكنية، و لكن يراعى الفصل بين مداخل الرجال و النساء و توفيرالخدمات الخاصة بكل منهما على حدة .

و لقد ورد فى القرآن الكريم ذكر لبعض نماذج من المبانى العامة و المتنوعة سنحاول أن نلقى الضوء عليها فيما يلى :

الأسواق :

يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ (الفرقان) .

ذكر السوق فى ما غير حديث، ذكره أهل الصحيح، و تجارة الصحابة معروفة خاصة المهاجرين، كما قال أبو هريرة :" إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق «التبايع » بالأسواق " أخرجه البخارى .

" و الأسواق مجموعة من الدكاكين مفتوحة على جانبى الطريق، و كان لكل صناعة سوق خاص و لكل تجارة أيضاً فهناك ما هو للصاغة أو النحاسين ... و قد يكون السوق مسقوفاً بكاملة أو بمجموعة من دكاكينه فى بناء كبير واحد كالخان أو الوكالة ... أما السويقة فهو سوق يقع عادة خارج سور المدينة و ربما تعاطى فيه بعض التجار بيع الجملة و يضم عدداً من الدكاكين و يخصص لنوع معين من التجارة كالمأكولات بشكل خـــــاص ..."[1] .

---

(1) موسوعة العمارة الإسلامية، د/ عبد الرحيم غالب .

محطات القوافل التجارية « الخانات » :

و من المبانى العامة التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم أيضاً محطات القوافل التجارية أو الخانات و هى لفظة فارسية أطلقت على مكان مبيت المسافرين و نلمح هذه الإشارة فى قوله سبحانه و تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ ﴿١٨﴾ (سبأ) .

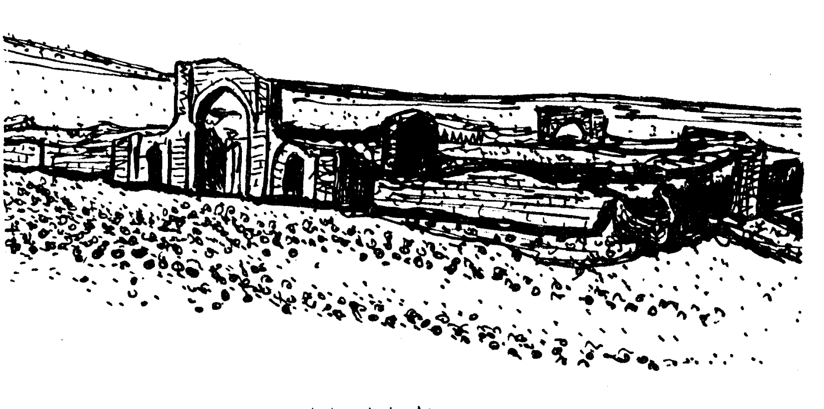
أى جعلنا بين بلاد سبأ و بين قرى الشام التى باركنا فيها للعالمين قرى متصلة من اليمن إلى الشام، يرى بعضها من بعض لتقاربها ظاهرة لأبناء السبيل، و قلنا لهم سيروا بين هذه القرى متى شئتم لا تخافون فى ليل و لا نهار، قال الزمخشرى :"كان الغادى منهم يقيل فى قرية، و الرائح يبيت فى قرية إلى أن يبلغ الشام " [1] .

و فى الآية إشارة إلى محطات القوافل التجارية و الخانات التى توجد على طرق القوافل التجارية أثناء سفرهم بين البلاد للتجارة و الترحال حيث كان يأوى إليها التجار للراحة و التزود بالماء و المؤن التى تعينهم على استمرارية رحلاتهم التجارية .

و يوجد نوع آخر من الخانات و كان يقام داخل المدن لاستقبال التجار من البلاد الأخرى لعرض بضاعتهم فيها و الإقامة خلال مدة تواجدهم.

---

(1) صفوة التفاسير، محمد على الصابونى .



خان قوافل رباط شرف بإيران

[محطات القوافل التجارية على طرق السفر]

أماكن الاستشفاء الطبيعية :

و من نماذج المبانى العامة التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم أماكن الاستشفاء الطبيعية و نلمح ذلك من قوله تعالى :

﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ (ص) .

أى قلنا له اضرب برجلك الأرض فضربها فنبعت له عين ماء صافية، فقلنا له هذا ماء تغتسل به و شراب تشرب منه، فاغتسل منها فذهب ما كان بظاهر جسده و شرب منها فذهب كل مرض كان داخل جسده .

و الجمهور على أنه نبعت له عينان، شرب من إحداهما و اغتسل من الأخرى فشفى .[١]

و تنبه الآية الكريمة السابقة إلى إمكانية استغلال عيون الماء الطبيعية و المعدنية كأماكن للاستشفاء و السياحة العلاجية و استغلالها كمياه للشرب النقى، و من أمثلة هذه النوعية من الأماكن " حمام فرعون " بسيناء و عيون المياه الكبريتية "بحلوان" .

السجون :

السجون جمع سجن و هو المحبس، و لقد كان فى كل مدينة سجن واحد أو أكثر مستقل البناء أو ملحق بسور أو برج أو قلعة ... و قد جآء ذكر السجن فى القرآن الكريم و الحديث الشريف :

---

(١) تفسير القرطبى .

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (يوسف) .

" الدنيا سجن المؤمن و جنة الكافر" [١]، رواه مسلم .

و السجون تعتبر أحد أنواع المبانى التى ينزل فيها المجرمون و المفسدون فى الأرض عقاباً و زجراً لهم، و لقد ورد فى سورة الكهف كيف أن ذى القرنين قد أقام ردماً ليحبس فيه قوم يأجوج و مأجوج، حيث يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ (الكهف) .

و السد هو الردم، و الردم ما جعل بعضه على بعض حتى يتصل، و فى هذه الآية دليل على اتخاذ السجون[٢] و حبس أهل الفساد فيها و منعهم من التصرف لما يريدونه و لا يتركون و ما هم عليه .

و لقد بنى "المنصور" سجنه الكبير المعروف " بالمطبق " بين سورى مدينة بغداد تحت الأرض و ظل قائماً إلى ما بعد عهد "المقتدر"[٣] .

نماذج من العمارة الدفاعية :

للجهاد و المجاهدين منزلة عظيمة فى الإسلام لذلك فلقد دعت العديد من الآيات القرآنية للجهاد و المرابطة فى سبيل الله

---

(١) (٣) موسوعة العمارة الإسلامية .

(٢) تفسير القرطبى . .

و من ذلك قوله سبحانه و تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ٢٠٠ (آل عمران) .

ففى الآية الكريمة دعوة للمرابطة فى سبيل الله أى لزوم الثغور و الحدود استعداداً للدفاع عن الوطن ضد أى غازى و معتدى، و من هنا نجد أن المسلمين قد أقاموا " الأربطة " و هى عبارة عن تحصينات كانت تبنى على حدود الدولة الإسلامية بغرض حمايتها من هجمات الأعداء، و قد كان يسكن هذه الأربطة المتطوعون و المجاهدون فى سبيل الله و كان يطلق عليهم "المرابطون " .

و لقد جاء ذكر العديد من المبانى و نماذج العمارة الحربية فى بعض من آيات القرآن الكريم، و يتضح لنا ذلك من قوله سبحانه و تعالى :

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾ من الآية ٧٨ (النساء).

و البروج المشيدة أى الحصون المنيعة، و البرج هو عنصر معمارى حربى الغرض منه تدعيم أسوار المدن أو القلاع أو القصور و عادة ما كان يزود بغرف علوية صغيرة لقذف النار، كما كان يزود بمزاغل « فتحات صغيرة ضيقة » أفقية لصب السوائل المحرقة، و مزاغل رأسية لرمى السهام ، كما يقول سبحانه و تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ (الحشر) .

أي هو جل و علا الذى أخرج يهود بنى النضير من مساكنهم بالمدينة المنورة، أى فى أول مره حشروا و أخرجوا فيها من جزيرة العرب إلى الشام، و ظنوا أن حصونهم الحصينة تمنعهم من بأس الله، و كان بنو النضير قبل إجلائهم عن ديارهم يخربون بيوتهم فيقلعون العمد و ينقضون السقف لئلا يسكنها المؤمنون حسداً منهم و بغضاً و كان المسلمون يخربون سائر الجوانب من ظاهرها ليقتحموا حصونهم .

و يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ (الحشر) .

أى لا يقدرون على مقاتلتكم مجتمعين إلا إذا كانوا فى قرى محصنة بالأسوار و الخنادق، أو من وراء الحيطان ليستتروا بها لفرط جبنهم و هلعهم، و عدواتهم فيما بينهم شديدة .

و من الآيات الكريمة السابقة يتضح لنا بعض من نماذج

العمارة الحربية المتمثلة فى الحصون و الأربطة و الأبراج و الأسوار و ما شابه، و جدير بالذكر هنا أن نشير إلى أن الرسول عليه الصلاة و السلام قد استخدم نموذج دفاعى كان غريباً على العرب فى الجاهليه ألا و هو «الخندق» و ذلك عندما أشار عليه بذلك سلمان الفارسى فى غزوة الأحزاب على المدينة المنوره، فعن جابر رضى الله عنه قال :"إنا كنا يوم الخندق نحفر فعرضت كديه شديدة فجاءوا إلى النبى صلى الله عليه و سلم فقالوا: هذه كديه عرضت فى الخندق، قال: أنا نازل ثم قام و بطنه معصوب بحجر، و لبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً، فأخذ النبى صلى الله عليه و سلم المعول فضرب فعاد كثيباً أهيل أو أهيم ..."[١] إلى آخر الحديث، و هو حديث متفق عليه .

و الشاهد فى الحديث هو ذكر الخندق و الذى يعتبر أحد نماذج العمارة الدفاعية و التى استخدمها الرسول صلى الله عليه و سلم .

و لقد أعطى القرآن الكريم وصفاً دقيقاً لأحد النماذج الدفاعية و ذلك فى سورة الكهف حيث يقول الله سبحانه و تعالى:

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ (الكهف) .

(١) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، للإمام النووى .

الردم هو السد، و الردم ما جعل بعضه على بعض حتى يتصل، و قيل الردم أبلغ من السد، إذ السد ما يسد به و الردم وضع الشيء من حجارة أو تراب أو نحوه حتى يقوم من ذلك حجاب منيع، أما زبر الحديد فهو قطع الحديد .

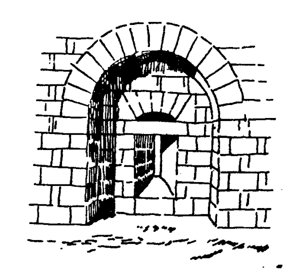
و بالنسبة لأسلوب تنفيذ هذا السد فقد تم تسوية البناء بين الصدفين أى الجبلين، و أمر بأن ينفخ على قطع الحديد بالأكيار، و ذلك أنه كان يأمر [أى ذو القرنين] بوضع طاقة من الزبر و الحجارة ثم يوقد عليها الحطب و الفحم بالمنافخ حتى تحمى، و الحديد أذا أوقد عليه صار كالنار ثم يؤتى بالقطر أى النحاس المذاب فيفرغ على تلك الطاقة المنضدة، فإذا التأم و اشتد و لصق البعض بالبعض استأنف وضع طاقة أخرى إلى أن استوى العمل فصار جبلا صلدأ، فما استطاعوا أن يعلوه و يصعدوا عليه لأنه أملس مستو مع الجبل و الجبل عال لا يرام و ما استطاعوا ثقبه و خرقه لبعد عرضه و قوته .

و لقد قال ابن جرير حدثنا بشر بن يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال: يا رسول الله قد رأيت سد يأجوج و مأجوج، قال: انعته لى، قال: كالبرد المحبر طريقة سوداء و طريقة حمراء، قال: قد رأيته" و قيل هو حديث مرسل. [١]

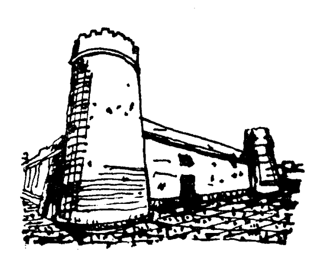
و تشير الآيه الكريمة السابقة لأحد نماذج العمارة الدفاعية و هى السدود و الأسوار و كيف أنه تم استعمال مادتى

---

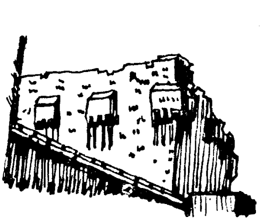
(١) "الكتاب و السنة أساس تأويل العمارة الإسلامية" .



دخلة غائرة فى السور الشرقى للقلعة للدفاع بالسهام

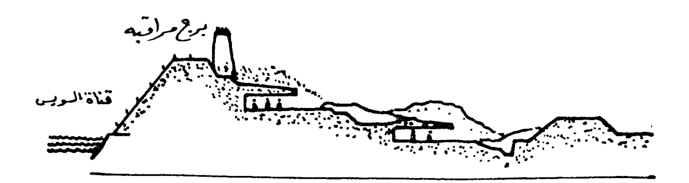


حصن المصمك فى الرياض



قلعة دمشق

[نماذج من العمارة الحربية الإسلامية]



إحدى النقاط الحصينة فى خط بارليف [نموذج لأحد حصون العصر الحديث]

الحديد على هيئة قطع و النحاس المذاب كمادة لاصقة مما جعل المادة الإنشائية النهائية للسور على هيئة سبيكة معدنية قوية فى تركيبها و شديدة فى متانتها إلى جانب توفر معيارين أساسيين فى تصميم هذا السد و هو أنه أملس و عال فلا يمكن تسلقه، و شديد المتانة و القوة بحيث لا يمكن ثقبه و هما أهم أساسيين معماريين فى تصميم الأسوار الدفاعية .

و يعتبر خط بارليف فى عصرنا الحديث و الذى أقامه يهود على الضفة الشرقية لقناة السويس قبل إجلائهم عن سيناء نموذج للحصون و السدود الدفاعية فى القرن العشرين .

+++++++

أوضحنا فيما سبق المبانى العامة و المتنوعة و التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم و هى كلها مبانى يستعملها الإنسان فى حياته و أنشطته المختلفة فهى ذات فائدة كبيرة له، و من هذا المنطلق فلقد حرص القرآن الكريم على التحذير من بناء مبانى العبث و المجون و التى لا تفيد المجتمع بل تكون كبؤرة فساد فيه، و هذا ما سنوضحه فى النقطة التالية .

النهى عن بناء مبانى العبث و المجون :

روى الإمام البخارى فى كتابه الأدب المفرد قال: حدثنا عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبى إسحق عن حارثة بن مضرب عن خباب قال: "إن الرجل ليؤجر فى كل شىء إلا البناء"،

كما روى الترمذى بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عيه و سلم "النفقة كلها فى سبيل الله إلا البناء فلاخير فيه"، و عن خباب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول :"يؤجر الرجل فى نفقته إلا التراب" أو قال:"فى التراب" قال شارحو الأحاديث: لا خير فى إنفاق فى البناء فلا أجر فيه و هذا فى بناء لم يقصد به قربة أو تقرب إلى الله أو كان فوق الحاجة، و قوله «فى التراب» أى البنيان الذى لم يقصد به وجه الله أو قد زاد على الحاجة[١] .

فإذا كانت السنة النبوية توضح أنه لا أجر على بناء فوق الحاجة، فمن باب أولى فإن العقاب يكون للذين يبنون مبانى للعبث و المجون، و لقد استنكرت العديد من آيات القرآن الكريم مسلك الأمم السابقة و التى اتخذت لنفسها أماكن و مبانى اللهو و العبث، فيحدثنا عن المترفين من الأمم السابقة و الذين كانوا يستكبرون على دعوة الرسل و يذهبون إلى أماكن اللهو و العبث فيقول سبحانه و تعالى :

﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ (المؤمنون) .

سامراً معناه سماراً و هو الجماعة يتحدثون باليل مأخوذ من السمر و هو ظل القمر كأنه سمى المكان الذى يجتمع فيه للسمر بذلك، و قد روى عن عمر بن الخطاب أنه كان يضرب الناس على الحديث بعد العشاء و يقول:" أسمرأ أول الليل و نوما آخره، أريحوا كتابكم" . [٢]

---

(١) "الكتاب و السنة أساس تأويل العمارة الإسلامية" .

(٢) تفسير القرطبى .

أما قوم عاد فقد كانوا يتخذون المبانى الرائعة لا لشئ إلا للعبث و المجون و فعل المنكرات، حيث يقول سبحانه و تعالى:
﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ (الشعراء) .

و الريع ما ارتفع من الأرض، أما " الآية " أى العلامة و الروعة فى البناء .

أما قوم لوط فكانوا يتخذون المجالس «النوادى» لفعل المنكر و قطع السبيل على المارة حيث يقول سبحانه و تعالى :
﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ (العنكبوت) .

مما سبق فإن استنكار آيات القرآن الكريم للأفعال الشائنة للأمم الظالمة و اتخاذهم مبانى اللهو و العبث، يدعونا لعدم إقامة مبانى من مثل هذه النوعية فذلك منهى عنه و يدخل فى ذلك مبانى اللهو من صالات الرقص و القمار و البارات سواء كانت منفصلة أو كجزء من المنشآت السياحية، و سوف نتحدث بتفصيل أكثر عن تأثير المنهج الإسلامى على تصميم المنشآت السياحية فى المبحث الثانى من هذا الفصل .

المبحث الثانى

تأثير المنهج الاسلامى على المبانى العامة

إذا كنا أوضحنا تأثير المنهج الإسلامى على عمارة المساجد و على عمارة المبانى السكنية، فلا يفوتنا أن نتكلم عن مبانى المسلمين العامة و التى يتسع فيها مجال الإبداع الفكرى حيث غالباً ما يرصد لها المبالغ المالية الكبيرة و التى تتيح للمعمارى أن يبتكر و يظهر إبداعه فى تصميم هذه المبانى، و لكن لا يعنى هذا الإسراف و البذخ فى أسلوب تصميم و تنفيذ و نهو هذه المبانى فالعامل الإقتصادى يجب أن يؤخذ فى الإعتبار عند تصميم هذه النوعية من المبانى أيضاً، و سنحاول أن نوضح هنا تأثير المنهج الإسلامى على تصميم المبانى العامة على مختلف أنواعها، و لا شك أنه توجد معايير تصميميه عامة يجب أن تتوفر فى المبانى العامة و من أهم هذه المعايير :

أولا : أهمية وجود المصلى فى المبنى العام :

يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ (الماعون) .

فالآية تنهى عن أن يسهو المسلم عن صلاته فى أى مكان ولأى سبب أو أى عمل، فلا خير فى عمل يلهى عن ذكر الله، و من هنا يظهر أهمية وجود المصلى فى المبنى العام، و إذا سمح التصميم فيفضل وضعه فى مكان محورى أو مركزى فى تصميم المبنى .

ثانياً : الفصل بين المداخل و عناصر الاتصال الرأسية و أجنحة الرجال و النساء :

يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ (القصص) .

فنجد أن فى الآية الكريمة إشارة إلى أنه إذا دعت الظروف المرأة للنزول إلى معترك الحياة سواء للتعليم أو العمل أو أى سبب فإنها لا تزاحم الرجال و تتجنب الإختلاط بهم قدر الإمكان .

لذلك فعلى المصمم أن يراعى الفصل بين مداخل الرجال و النساء فى المبانى العامة، و كذلك الفصل فى عناصر الاتصال الرأسية سواء كانت مصاعد أو سلالم .

و فى المبانى العامة كالمستشفيات مثلا يجب الفصل التام بين أجنحة المرضى من النساء و الرجال مع توفير الخدمات اللازمة لكل جناح منهما على حدة أما فى المبانى العامة و التى يصعب إزدواجية العناصر بها كصالات التعامل فى البنوك مثلا أو ما شابه فيراعى أن يفصل بين أماكن انتظار النساء عن الرجال و لو بقواطيع خفيفة .

ثالثاً : التصميم البيئى و الجمالى الجيد ليساعد العاملين على إتقان أعمالهم :

يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ (الكهف) .

فإتقان و تحسين العمل فى مختلف الحرف و المهن قيمة و توجيه إسلامى جليل ، لذلك يجب على المصمم مراعاة تهيئة جو المبنى العام من الناحية البيئية و المناخية حتى يمكن للعاملين به من أداء أعمالهم على أكمل وجه، كما يراعى وضع اللمسات الجمالية فى المبنى و التى ترغب العاملين فى حب التواجد فيه لأكبر فترة ممكنة .

و تعتبر الأفنية و الحدائق الداخلية المعلقة من أنسب العناصر و التى يمكن أن تجمع بين الحل المناخى و الجمالى خاصة فى البيئات الحارة، كما أن استعمال مواد البيئة يساعد على تهيئة المبنى من الناحية المناخية، كذلك يكون كأحد العوامل النفسية التى تساعد على ارتباط العاملين بالمبنى بالتواجد فيه لأداء أعمالهم حيث أنهم لا يشعرون بأن المبنى غريب عن البيئة التى أعتادوا عليها و نشأوا فيها .

رابعاً : تعبير كل مبنى بوضوح عن وظيفته :

فيجب على المصمم مراعاة أن يعبر كل مبنى عن الوظيفة التى أنشىء من أجلها سواء كان ذلك بأسلوب مباشر أو رمزى، فعلى سبيل المثال يمكن استلهام الطابع الإسلامى المميز للعمارة الإسلامية الحربية المتمثل فى أسوار المدن أو الحصون و القلاع و تطويعه ليتناسب مع بعض المبانى العامة ذات الوظائف المستحدثة كمبانى وزارات الدفاع و البوليس و الكليات الحربية، و كذلك مبانى السفارات و ما شابه، و بذلك نكون قد أعطيناها مسحة معمارية مميزة و معبرة فى نفس الوقت عن وظيفة المبنى.

هذه هى بعض المعايير الأساسية و التى يجب أن تتوفر فى المبانى العامة، و لكن توجد بعض المعايير و التى يمكن أن تتميز بها بعض المبانى العامة عن الأخرى - بالاضافة إلى المعايير السابقة - و ذلك حسب الوظيفة التى يؤديها المبنى و سنحاول أن نوضح ذلك من خلال بعض الأمثلة لمبانى عامة متنوعة و هى :

المبانى التعليمية :

قال سيدنا عمر بن الخطاب : "علموا أولادكم السباحة و الرماية و ركوب الخيل" فممارسة الرياضة عنصر أساسى فى تكوين و تربية النشىء و الشباب و بخاصة الرياضات التى تؤهل الشباب عسكرياً كالسباحة و الرماية و ركوب الخيل، من هنا يجب أن

يراعى فى تصميم المبانى التعليمية على مختلف مراحلها توفير ملاعب رياضية و حمامات سباحة ليتمكن النشىء و الشباب من ممارسة الرياضة مما يعود عليهم بأعظم النفع .

المبانى السياحية و الترفيهية :

يقول الله سبحانه و تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ٢٨ (التوبة) .

ففى الآية الكريمة السابقة وضع الله للمسلمين القاعدة الأساسية للتعامل مع الموارد السياحية و هى الإلتزام بتعاليم الإسلام مع التزام الله بالرزق و الغنى لكل من يلتزم بمنهجه، كما يقول الله سبحانه و تعالى :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ٣٠ (النور) .

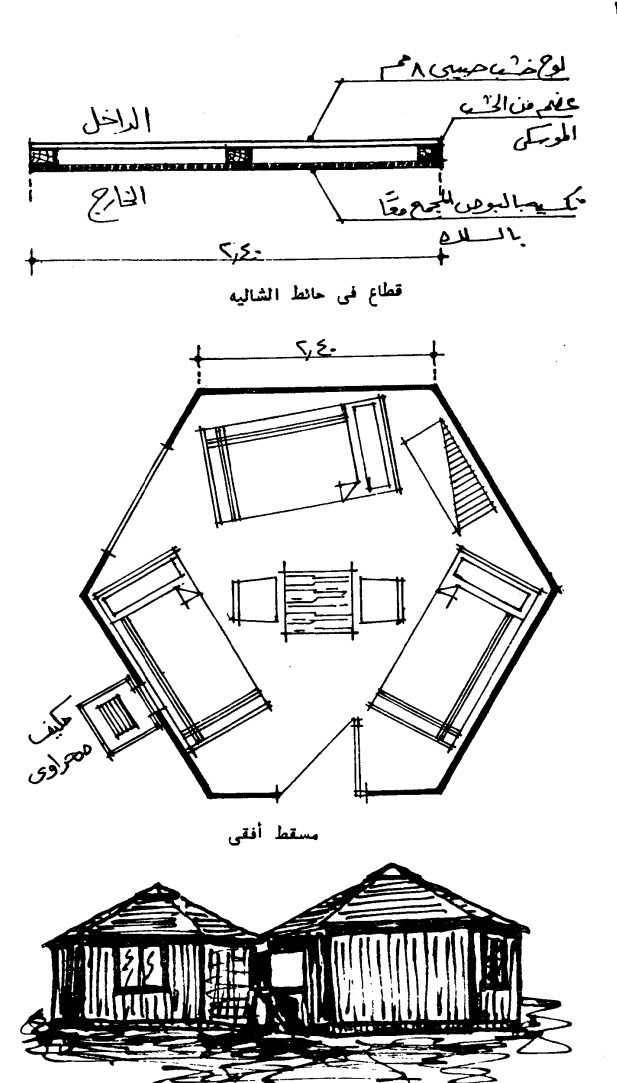
و فى الآية الكريمة أمر بغض البصر و عدم النظر إلى محارم الله، فبهذه الآية حرم العلماء نصاً دخول الحمام بغير مئزر[١]، فدخول الحمامات العامة جائز للرجال بالمآزر، و كذلك للنساء للضرورة كغسلهن من الحيض أو النفاس أو مرض يلحقهن، و الأولى بهن و الأفضل لهن غسلهن إن أمكن ذلك فى بيوتهن .

---

(١) تفسير القرطبى .

و ما ينطبق على الحمامات العامة يمكن تطبيقه أيضاً على المنشآت السياحية فبالنسبة للسائح الأجنبى «غير المسلم» فيجب أن تخصص لهم منشآت سياحية خاصة بهم مفصولة بشواطئها فصلا تاماً عن شواطىء أهل البلاد من المسلمين، كما يجب أن يلزم السائح بقواعد سلوكية معينة خارج القرى و الأماكن المخصصة لهم حتى نكفل حماية أبناء المجتمع المسلم من الفتنة أو الخروج على تعاليم الإسلام، و نحن فى ذلك لا نقيد حرية السائح الأجنبى و لكن نعطيه فكرة حقيقية عن أخلاقيات المجتمع الإسلامى.

أما بالنسبة للسائح المسلم، حيث تعنى السياحة له الترفيه و اللهو المباح لاستعادة النشاط فيجب مراعاة الخصوصية الكاملة سواء فى تصميم أو تخطيط القرى السياحية و شواطئها، بحيث يتم تخصيص قرى أو أماكن خاصة للشباب مفصولة بخدماتها فصلا تاماً عن قرى العائلات و تمتد هذه الخصوصية للشواطىء، و يراعى فى قرى الشباب بساطتها و بنائها من مواد و بأسلوب إنشاء قليل التكاليف مما يتناسب مع انطلاق و حيوية الشباب، أما بالنسبة لقرى العائلات فيفضل أن تكون المبانى مفصولة عن بعضها البعض و كل مبنى له الحديقة الخاصة به و التى يفضل أن تحيط به من أكثر من جانب مع توفير فراغات عامة مشتركة للتعارف بين هذه العائلات .



قطاع فى حائط الشاليه

مسقط أفقى

نموذج لشاليه بشاطىء شرم الشيخ من مواد بسيطة يلائم الشباب

كما أن تخصيص حمامات سباحة مغلقة أو مسابح مقتطعة من البحر للنساء ومحمية تماماً من أنظار المتطفلين ليعطى فرصة للآتى لا يقبلن حالياً من النساء أو العائلات المتدينة على الإستمتاع بالشواطىء وقضاء العطلات فى هذه النوعية من المنشآت والقرى السياحية والتى يتوفر بها الخصوصية ٠

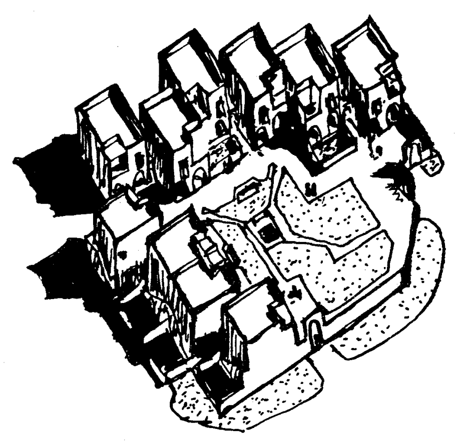
ويجب على المصمم توفير أماكن للصلاة على طول الشاطىء سوآء بالنسبة لشواطىء الشباب أو العائلات وذلك على شكل مظلات كبيرة - على سبيل المثال - تستخدم للحماية من أشعة الشمس وفى نفس الوقت كمصليات فى أوقات الصلاة ، ومن يسر الإسلام أن الرسول علية الصلاة والسلام قد أجاز لنا التوضأ بماء البحر حيث قال فيه :"هو الطهور ماؤه ، الحل ميتته" [١] [أخرجه الأربعة] ٠

وبذلك فلا توجد أية ذريعة للذين يقضون كامل يومهم على شواطىء البحار دون تأدية الصلاة فى مواقيتها ٠

كما يجب على المعمارى المسلم ألا يشارك فى أى تصميمات لمنشآت سياحية تحتوى فى برامجها على صالات للرقص أو العروض الفنية الإباحية أو الملاهى الليلية وصالات القمار ، وهنا يظهر دور المعمارى المسلم فى رفضه لتصميم أى منشأ سياحى يتعارض مع تعاليم الإسلام ، كما يتضح دوره كمصلح بيئى واجتماعى فى آن واحـــد ٠

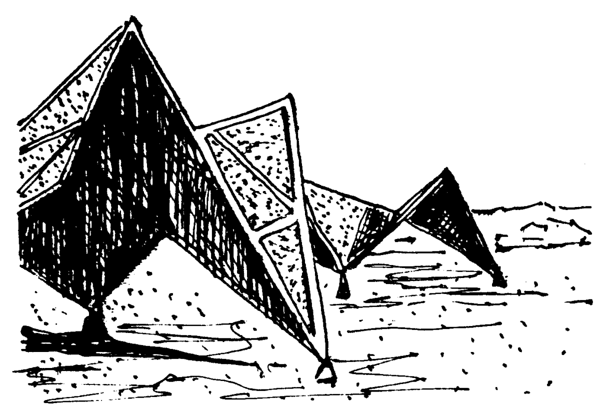
---

(١) "حاشية الدهلوى"، للعلامة/ احمد حسن الدهلوى، "باب المياه" .



المجموعة العائلية للشاليهات بقرية النورس

[من أعمال مركز الدراسات التخطيطية و المعمارية]



المظلات الجماعية بشاطئ شرم الشيخ و التى يمكن استخدامها كمصليات

وإذا كان الإسلام لا يحرم الاستمتاع الجسدى بمزاولة السباحة أو ممارسة الرياضة وذلك بتوفير الملاعب الرياضية ، فإن المصمم يجب ألا يغفل أيضا عن الإمتاع الفكرى والثقافى عن طريق توفير المنشآت الثقافية السياحية كبديل عن الملاهى الليلية و البارات، و يكون ذلك بدراسة إمكانات كل منطقة سياحية فبعض المناطق يمكن أن يقام بها متاحف للأحياء البحرية و البعض الآخر للآثار .. و هكذا .

+++++

هذه هى بعض الأمثلة و المعايير الخاصة بتصميم المبانى العامة، و قد اتضح لنا أنه توجد بعض المعايير العامة و المشتركة بين هذه المبانى، كما أنه توجد معايير أخرى خاصة بكل مبنى عام على حدة، و بذلك فإن على المعمارى المسلم أن يكون فطناً عند تصميمه لهذه المبانى بحيث يحاول أن يطبق فيها المعايير التى تتناسب مع وظيفتها و ذلك من خلال البحث عن تأثير المنهج الإسلامى على التصميم حسب نوعية و ظروف كل مبنى .

الفصل الخامس
الحدائق و الجنات الأرضية

" الحدائق جمع "حديقة" و هى البساتين أو الروضة أو الحائط، و عادة ما يطلق لفظ الحديقة على الأرض المرتفعة المزروعة بالشجر و التمر و النخل، أما الروضة فهى الأرض ذات الخضرة و لا يقال فى موضع الشجر روضة، و لا تكون إلا بماء معها أو إلى جنبها، و الحائط هو البستان من النخيل إذا كان عليه حائط، و البستان لفظة فارسية الأصل تعنى مكان العطر و أطلقت على كل أرض أدير عليها جدار و فيها شجر و زرع "[١]

و لقد تحدثت العديد من آيات القرآن الكريم عن الحدائق و قد أطلقت عليها لفظ الجنات سواء ما كانت منها أرضية يزرعها البشر أو أخروية و هى التى أعدها الله لعباده الصالحين، و من الآيات التى تحدثت عن الموقع النموذجى للحدائق و الجنات الأرضية قول الله سبحانه و تعالى:

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ (البقرة) .

فالآية الكريمة توضح أن الموقع الأمثل لاختيار الحدائق و البساتين يفضل أن يكون بالأماكن المرتفعة من الأرض كالروابى مثلا فهذا يجنب الأشجار عدة عوامل معوقة للنمو و للإثمار الجيد و أسباب المرض، و من هذه العوامل إلتقاء الجذور بالمياه الجوفية

---

(١) "موسوعة العمارة الإسلامية"، دكتور/ عبد الرحيم غالب .

الذى يحد من نموها، فبعد الأماكن المرتفعة عن المياه الجوفية يزيد من تهوية التربة و يمنع تعفن الجذور، كما أن الأشجار فوق الربوة العالية معرضة للشمس و التهوية و الإضاءة الكافية و التلقيح الهوائى مما يحسن إنتاجها، و لو هبت رياح بها أتربة و رمال كما يحدث فى المناطق الصحراوية فإن هذه الإشجار تكون بمعزل عن تراكم هذه الأتربة و تجميعها بسبب إرتفاعها كما أن هذه الربوة تروى عادة بالمطر دون عناء و لا تعب، كما أن المياه الزائدة لن تفسد الزرع لأنه بربوة عالية و الصرف ممتاز حول الربوة، و فى حالة عدم نزول الأمطار فإن هذه الحدائق تروى بطريقة الرش و الرذاذ الخفيف للندى و فى جميع الأحوال فهذه الحدائق تكون أفضل من أى بساتين أخرى لموقعها المرتفع الممتاز و لاسيما أنه يمكن رؤيتها بسهولة من أى مكان . [١]

و لقد أعطيت العديد من الآيات القرآنية وصفاً جميلا للجنة و ما بها من متع أعدها الله لعباده الصالحين، حيث يقول الله سبحانه و تعالى:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾﴾ (النبأ) .

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾
وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾
وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ (الواقعة) .

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ (الإنسان) .

---

(١) "إعجاز النبات فى القرآن الكريم"، د/ نظمى خليل أبو العطا-بتصرف.

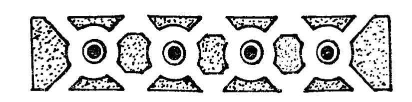
فوجود الأشجار و النباتات بالحدائق يؤدى إلى منافع شتى، فيمكن الحصول على الفواكه من بعض أشجارها كالعنب مثلا، و البعض الآخر يستخدم كسور يحمى الحديقة من أعين المتطفلين و يوفر لها الخصوصية كأشجار النخيل، و البعض الآخر يوفر الظلال و يساعد على عدم انعكاس أشعة الشمس على حوائط هذه المبانى و يحد من شدة الإبهار بالمنطقة المحيطة بهذه المبانى، هذا إلى جانب الحصول على المتعة البصرية و تحقيق النواحى الجمالية .

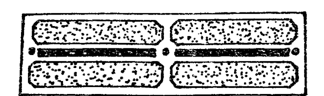
و لقد اهتم المسلمون بإقامة الحدائق فى قصورهم و بيوتهم، و أصبحت الحدائق و تنسيق الأفنية الداخلية فى المساكن و المبانى العامة عنصر أساسى فى مبانى المدينة الإسلامية و قيل أنه قد بلغ اهتمام العرب بتحقيق الجانب الجمالى فى الحدائق الى أنهم قد أحاطوا فى بعض الأحيان جذوع الأشجار و النخيل برقائق الذهب، و كأنهم استلهموا هذا الوصف الجمالى من وصف الرسول عليه الصلاة و السلام لأشجار الجنة، ففى جامع الترمذى من حديث أبى حامد عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :"ما فى الجنة شجرة إلا و ساقها من ذهب"، قال هذا حديث حسن[١] .

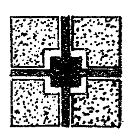
و يجدر بنا هنا أن ننبه إلى أن السنة النبوية قد نهت عن اتخاذ الضياع من أجل الترف والرفاهية فقط، فلقد روى

---

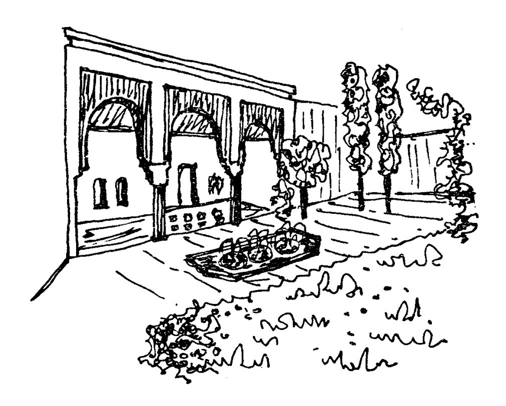
(١) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية







نماذج من أساليب تنسيق الحديقة الإسلامية



الأشجار و النباتات فى الحديقة الإسلامية
[قصر السلطان مولاى حسن بمراكش]

الحاكم فى المستدرك بإسناده فى كتاب الرقاق عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم :" لا تتخذوا الضيعة فترغبوا فى الدنيا"[١]، لذلك نجد أن الرسول عليه الصلاة و السلام نهى عن أن تحاط البساتين و الحدائق بأسوار أو ما شابه و حض على تركها فى متناول أهل الحاجة و المساكين أو على الأقل إن أحيطت للحماية من اللصوص فلا يجب أن يمنع المساكين من أن يعطوا من ثمارها .

أما عن أسلوب استخدام الماء فى الحدائق فإننا إذا تأملنا أغلب الآيات التى ورد فيها ذكر الجنة فإننا نجد أن الأنهار تجرى من تحتها و من ذلك قوله تعالى :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ (البروج) .

فالآية تلفت نظر المصممين للحدائق إلى أن الأسلوب الأمثل لتصميم الماء أو البحيرات المائية فيها يكون بوضع الحدائق فى المستويات العلوية و مجارى المياه و النوافير فى المستويات السفلية من الموقع خاصة إذا سمحت طبوغرافية الموقع بهذا، مما يعطى فرصة جيدة للجالس بهذه الحدائق العلوية أن يتمتع بالنظر إلى الماء فى المستويات السفلية .

و لقد روى البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال:" إن فى الجنة مائة درجة

---

(١) "الكتاب و السنة أساس تأويل العمارة الإسلامية"، م/ عبد العزيز أبا الخيل .

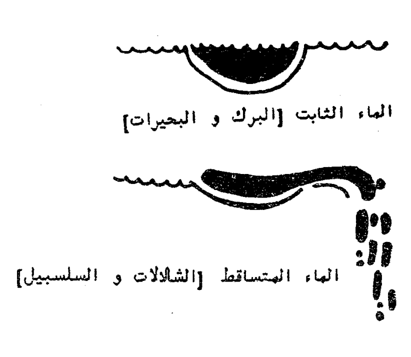
أعدها الله عز و جل للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء و الأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة و أعلى الجنة و فوقه عرش الرحمن، و منه تفجر أنهار الجنة" .

و الشاهد في الحديث النبوي أن الفردوس أعلى الجنة و منه تفجر أنهار الجنة، و لقد استخدم الماء في الحديقة الإسلامية على أشكال و صور متنوعة، فقد استخدم على شكل مسطحات مائية مظللة بالأشجار أو على شكل نوافير تساعد على تحريك سطح الماء فلا يعمل كسطح عاكس أو على شكل أنابيب علوية تتساقط منها المياه محدثة خريراً مقبولا، أو على شكل سلسبيل، و إذا كان الرسول صلى الله عليه و سلم قد وصف نهر الكوثر بالجنة فقال:"الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب و مجراه على الدر و الياقوت، تربته أطيب من المسك و ماؤه أحلى من العسل و أبيض من الثلج"[1] رواه الترمذي و قال حديث حسن، فإن العرب قد استعملوا الفسيفساء الملونة في تكسية قاع و جوانب النوافير أو القنوات المائية و ذلك لإبراز جمال الماء و المحافظة على صفاء لونه بقدر الإمكان .

و لقد زودت الحدائق العربية بالأرائك و المجالس و التي كانت غالباً ما تختار بالقرب من النباتات و المسطحات المائية للإستمتاع بها عن قرب، و لقد تحدثت آيات القرآن الكريم عن

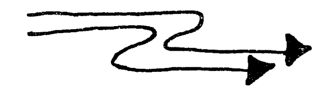
---

(١) "حادي الأرواح الى بلاد الأفراح"، لابن قيم الجوزية .



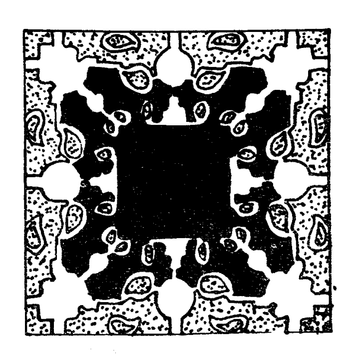
الماء الثابت [البرك و البحيرات]

الماء المتساقط [الشلالات و السلسبيل]



الماء المتحرك [القنوات المائية]

[أساليب استخدام الماء فى الحديقة الإسلامية]



بحيرة قصر أديبور بالهند

المجالس و منها قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) ﴾ (المطففين) .

و لقد كانت تستعمل المجالس المكشوفة من الخشب أو الحجر أو المكسوة بالبلاط القيشانى الملون، كما كانت تستعمل الأكشاك الخشبية كمجالس مظللة حيث المناخ حار و الشمس ساطعة أغلب النهار و كان لها فتحات صغيرة بجدرانها تمكن الجالس بداخلها من مشاهدة ما يجرى خارجها .

و لقد روى مسلم من حديث أبى عمران عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:"إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا ..." و هذه الخيام غير الغرف و القصور بل هى خيام فى البساتين و على شواطىء الأنهار[١]، و يمكن استلهام بعض أشكال للمجالس المظللة من الخيام و ذلك بأشكال جميلة و مبتكرة و فى نفس الوقت لا تكون غريبة أو دخيلة على البيئة العربية .

و لقد جاء استخدام الكتابة العربية بالخطوط المختلفة«كوفى أو ثلث...» لكتابة آيات القرآن فى أجزاء كثيرة من الحديقة و خاصة على أبوابها تيمناً و تذكيراً بنعم الله و بفضله و يمكن استلهام هذا المعنى من قوله تعالى :

﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ من الآية ٣٩ (الكهف).

---

(١) حادى الأرواح الى بلاد الأفراح، لابن قيم الجوزية .

و قد كانت غالباً تتصدر هذه الآيات مداخل الحدائق تعبيراً عن الإيمان العميق بالله و ترحيباً بالزوار فوضعت آيات« ادخلوها بسلام آمنين - جنات تجرى من تحتها الأنهار» و للاستيعاذ بالله من الحاسدين كتب « يا حفيظ - فالله خير حافظاً و هو أرحم الراحمين آمين »، و قد استوحى أيضاً المسلمون فكرة الكتابة على مداخل الحدائق من أحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم بأنه مكتوب على باب الجنة لا إله إلا الله .

و تعتبر الروائح الزكية أحد العناصر الهامة لإدخال البهجة و السرور و الإمتاع الحسى عن طريق حاسة الشم، حيث يقول سبحانه و تعالى :

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ۝٨٩ (الواقعة) .

و عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:"إن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام"[1] رواه الطبرنى .

فقد روعى فى النباتات المستعملة فى الحدائق العربية أن تكون ذات رائحة جميلة أو أزهار فواحة العطر أو فواكه ذات رائحة زكية مما يكسب البناء رائحة طيبة بشكل دائم تقريبا مما يضيف بعداً جديداً للاستمتاع الحسى، إلى جانب أن النباتات ذات الروائح لها خاصية تلطيف المناخ و ذلك ضرورى للبيئة الحارة، و عندما تغيب رائحة زهور الحديقة فى فصول معينة يشعل البخور عادة فى هذه المنازل حرصاً من أهلها على وجود الروائح

(١) حادى الأرواح الى بلاد الأفراح، لابن قيم الجوزية .

الزكية و ذلك من عادة المسلمين حب الطيب و الروائح الزكية تمثلا برسول الله صلى الله عليه و سلم حيث يقول :"حبب إلى من دنياكم ثلاث: الطيب و النساء و جعلت قرة عينى فى الصلاة" .

و أما الأصوات الجميلة فلها تأثيرات سمعية تدخل على النفس الهدوء و السكينة، هذا مع تلافى الضوضاء و الأصوات المزعجة و هو ما يشير إليه قوله تعالى:

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١﴾ (الغاشية) .

فأصوات النوافير و خرير مياهها و زقزقة الطيور المختبئة فى أشجار هذه الحديقة و المتداخلة مع الأصوات الإنسانية داخل المبنى الذى روعى فى تصميم فراغاته أن تؤمن أصداء صوتيه رخيمة يكتمل اللحن الخاص بالبناء .

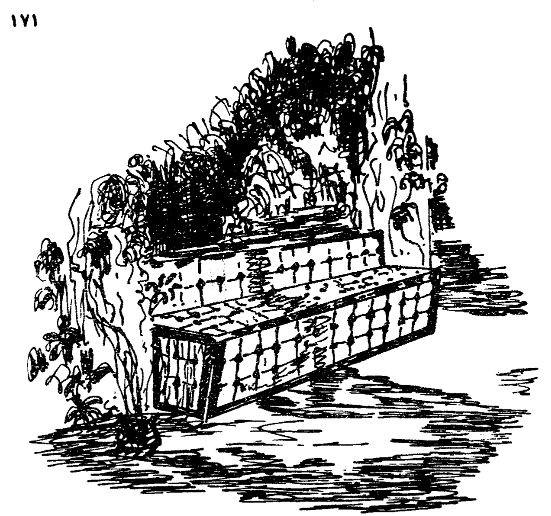
و بتوفر العناصر السابقة من أشجار و نباتات و ماء على أشكال متنوعة و وجود المجالس سواء منها المكشوف أو المظلل و استخدام الكتابة العربية كناحية جمالية و تعبيراً عن شكر و حمد الله و ترحيبا بالزوار مع وجود الروائح الزكية و الأصوات الجميلة تكتمل صورة الفردوس - أو الجنة الصغرى - عند المسلم على الأرض .

مما سبق يتضح لنا أن العناصر الأساسية للحديقة الإسلامية قد استلهمت من معانى آيات القرآن الكريم و الأحاديث

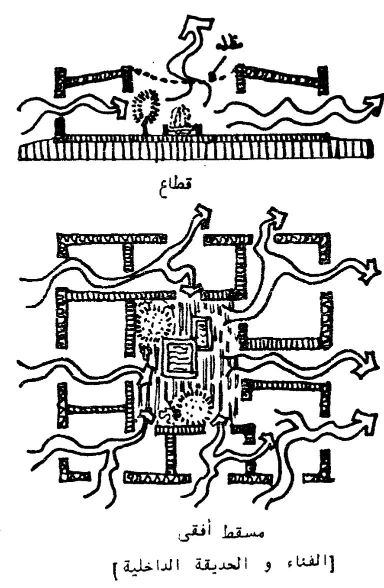
الشريفة التى تصف الفردوس، و قد كان الفناء الداخلى هو البوتقة التى امتزجت فيها هذه العناصر فتبلورت من خلاله فكرة الجنة الأرضية حيث استخدم هذا الفناء كحديقة داخلية مزودة بالعناصر الطبيعية من نباتات و أشجار و مياه، فأصبحت هذه الحديقة إلى جانب تأديتها وظيفة هامة و هى تلطيف الجو بداخل الفناء فإنها قد أكدت أهمية الفناء فى قلب المسكن حيث أنه القلب الطبيعى لمعيشة الأسرة حيث الهدوء و السكون و الخصوصية المرغوبة .

و لقد اهتم أهل البيت بالفناء الداخلى - حيث أنه محور الجذب - فلم يكتفوا بتنسيق الحديقة التى بداخله فقط، بل اهتموا باختيار أرضياته، من مواد لا تحتاج لصيانة كبيرة و سهلة التنظيف و لا تساعد على انعكاس الشمس بل تمتصها مما يخفف من الإشعاعات الحرارية على الحوائط المحيطة بالفناء إلى جانب الاهتمام بالشكل الجمالى لها، فاستعمل الحجر و الرخام و الطابوق الأحمر أو تشكيلات مركبه من هذه الأنواع .

و من ذلك يتضح مدى اهتمام المصمم المسلم بوجود الحدائق فى داخل المسكن و مدى تأثره بفكرة الفردوس، و كان من أهم أهداف الحدائق الإسلامية توفير الظلال و الرطوبة التى يوفرها الماء مما يؤدى إلى تحسين جو الأفنية و تبريدها، إن المصمم المسلم عرف كيف يمزج بين المنظر الطبيعى و العمارة و



مقعد مكسو بالبلاط القيشانى على الطريقة الأندلسية



قطاع

مسقط أفقى

[الفناء و الحديقة الداخلية]

كل ذلك فى إطار المحافظة على العادات و التقاليد الإسلامية حيث وضع هذه الحدائق فى أفنية داخلية فى منأى عن أعين المتطفلين .

و قد يعتقد البعض أن إيجاد الحدائق نوع من الرفاهية أو الكماليات و لكن القرآن الكريم أكد على أن وجود الحدائق هو اتجاه حضارى و نعمة من نعم الله حيث يقول سبحانه و تعالى :

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ (النمل) .

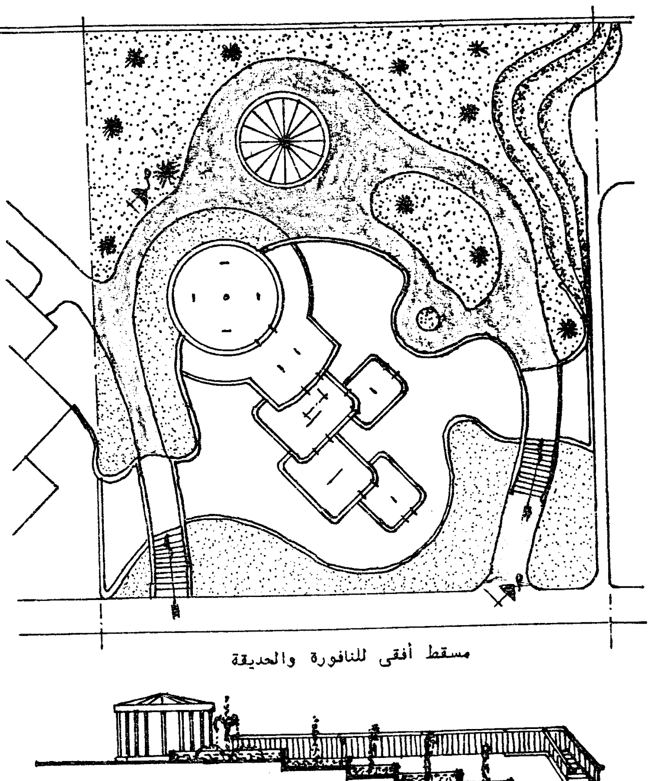
فإذا تبين لنا الدعوة الصريحة من الدين الإسلامى لإيجاد الحدائق فلا يخفى علينا أيضاً الفوائد الصحية للمناطق الخضراء و المفتوحة فهى تعمل على تنقية الهواء من الغبار و الأبخرة و المخلفات العديدة العالقة به إلى جانب التأثير النفسى الجيد للمناطق الخضراء، و كذلك فإن المناطق الخضراء يكون لها تأثير مباشر للحماية من عوامل المناخ و تلطيف الجو خاصة فى المناطق الحارة فلقد ثبت أن درجات الحرارة فى المناطق الخضراء المحيطة بالمدن تقل بحوالى ١٠ درجات مئوية منها داخل المدن، كما أن الظل الكثيف حول المبنى يخفض درجة الحرارة حوالى ٢٠ درجة «فهرنهيت» و يمكن إيجاد ذلك بزراعة أشجار متساقطة الأوراق كثيفة الأوراق و الغصون قرب المنازل،

أما من الناحية الإجتماعية فالمناطق الخضراء ضرورية لخلق نوع من التقارب الإجتماعى و خاصة على مستوى المجموعات و المجاورات السكنية .
وخلق نوع من الترابط الاجتماعى نتيجة لعلاقة الجوار والتى أكدها الإسلام.

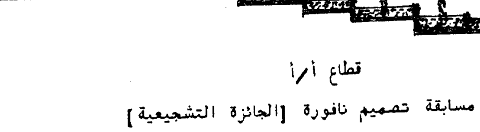
مما سبق فإننا نجد أنه لزاماً علينا العودة إلى إيجاد الحدائق حيث أنها اتجاه حضارى و علاج لكثير من الجوانب الجمالية و المناخية و البيئية و أرى أن ذلك يمكن أن يتم على مستويين :

على مستوى المبنى السكنى و العام :

يجب نقل العناصر الطبيعية إلى داخل المسكن بمعنى أن يكون لكل منزل الحديقة الداخلية الخاصة به، مع تعديل قوانين المبانى بما يتلائم مع هذا الإتجاه خاصة فى المناطق و المدن الجديدة و العودة إلى تصميم المبانى على أفنيه داخلية حتى يمكن ايجاد هذه الحدائق الداخلية التى توفر الخصوصية و ما فى ذلك من احترام حق الجوار، و فى حالة عدم إمكانية إيجاد الأفنية الداخلية فيمكن إيجاد الحدائق المعلقة بالشرفات فتكون كمحور الجذب الرئيسى لمعيشة أهل البيت، و بذلك يتم تقليل الفتحات الخارجية على الطرق العمومية مما سيكون له فوائد كثيرة من تجنب الضوضاء و أشعة الشمس الحارقة و تلوث



مسقط أفقى للنافورة والحديقة



قطاع أ/أ

مسابقة تصميم نافورة [الجائزة التشجيعية]

من تصميم المؤلف

البيئة، كما يمكن استغلال أسطح المساكن القائمة لعمل حدائق أسطح تكون كمكان لتجمع و تعارف شاغلى كل مبنى مع تعلية أسوار هذه الأسطح لتوفير الخصوصية .

على مستوى المدينة :

فيجب أن يكون أساس تصميم المجموعات و المجاورات السكنية على فراغات و حدائق داخلية، مع الإهتمام بوجود مناطق مفتوحة و ملاعب للرياضة تكون بمثابة منتديات رياضية للشباب.

فمن ذلك يتبين أنه مع التدرج فى تخطيط المدينه يكون هناك تدرج و تسلسل للحدائق و المناطق الخضراء كما يلى :

* حديقة المسكن الخاصة .
* حديقة المجموعة السكنية النصف عامة .
* حديقة المجاورة العامة .
* حدائق المنتزهات على مستوى الأحياء .
* الغابات و الحدائق الكبرى على مستوى المدينة .
* طرق و ممرات حدائقية تربط المدينة و وحدتها المختلفة .

الفصل السادس
التجمعات العمرانية

المبحث الأول

حديث القرآن والسنة عن التجمعات العمرانية

من طبيعة البشر الحياة فى تجمعات ومجتمعات سواء كانت هذه التجمعات صغيرة أو كبيرة الحجم ، وعندما ننظر للتجمعات العمرانية القائمة اليوم نجد أننا يمكن أن نميز منها ثلاثة أنواع نذكرها فيما يلى :[١]

التجمعات الحضرية : وتمثلها المدن القائمة بأشكالها وأحجامها المختلفة .

التجمعات الريفيـة : وتمثلها القرى .

التجمعات البدويـه: والتى تنتشر فى أنحاء مختلفة من صحارى البلدان العربية .

ولو تتبعنا آيات القرآن الكريم والتى تتحدث عن التجمعات العمرانية لاستطعنا أن نميز الأنواع الثلاثة السابقة لهذه التجمعات وهـى :

المدائن و المدن :

المدآئن أو المدن جمع مدينة ، وقد قيل فى معناها أنها : حصن يبنى وسط الأرض - قرية كبيرة كثيرة السكان - مصر جامع"[٢] ، ولقد سميت مدآئن كسرى "بالمدآئن" لأنها كانت مكونة من عدة مدن متقاربة ، ولقد ورد ذكر "المدآئن" فى العديد من آيات القرآن الكريم ، حيث يقول سبحانه وتعالى :

---

(١) من بحث " التصور العمرانى فى الإسلام كمخرج لعديد من المشاكل العمرانية" ، د/ احمد كمال عفيفى-بتصرف .

(٢) موسوعة العمارة الإسلامية ، د/ عبد الرحيم غالب .

﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾ (٣٦) (الشعراء) .

﴿ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾ (٥٣) (الشعراء) .

كما ورد ذكر "المدينة" فى أكثر من آية من آيات القرآن الكريم ، فلقد ذكرت حوالى أربعة عشر مرة .... ، منها قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ﴾ (١٠١) (التوبة) .

﴿ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ ﴾ من الآية ١٥ (القصص) .

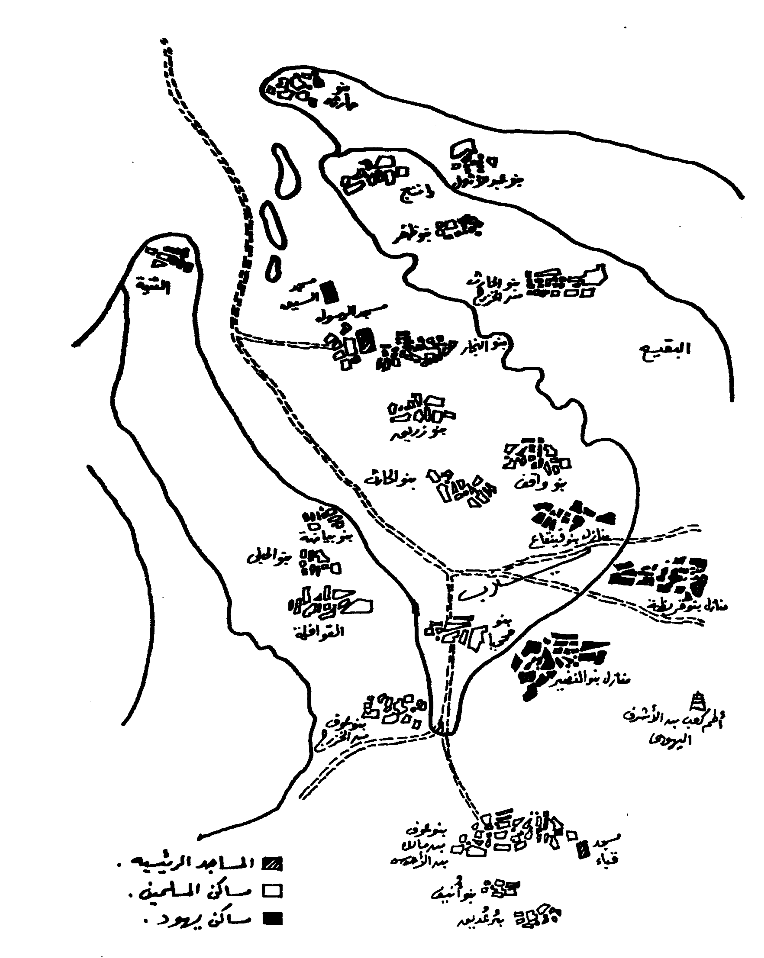
ونلاحظ أنه قد سميت مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام "بالمدينة" حيث جمعت قبائل العرب من المهاجرين والأنصار وكذلك تجمعات "يهود" قبل إجلائهم عنها ، كما سميت مدينة فرعون بذلك حيث كان سكان مدينته مكونين من المصريين من بنى قومه ومن قوم موسى وهم بنو إسرائيل ، فيمكن أن نقول إن المدينة تحتوى على مساكن لقوم مختلفى الأصل أو الجنس أو العقيدة أو اللغة .

القرى :

القرى جمع "قرية" وهى فى اللغة :" مصر جامع - كل مكان اتصلت به الأبنية"[1] ومن ذلك فإنه يفهم أن "القرية"

---

(١) موسوعة العمارة الإسلامية ، د/ عبد الرحيم غالب .



[المدينة المنورة على عهد الرسول علية الصلاة والسلام]

يمكن أن تطلق على المصر الجامع أيضا ولا تقتصر "القرية" على التجمعات العمرانية متوسطة أو صغيرة الحجم ، ولكن الفيصل فى إطلاق لفظ "القرية" على التجمعات إذا تضمنت مساكن لقوم ينتسبون إلى أصل واحد مثل القبيلة وجنسهم واحد ، حيث يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ (هود) .

فلقد أطلقت الآية الكريمة على مساكن قوم هود وصالح وهما قبائل عاد وثمود اسم القرى ، وكذلك أطلقت هذا اللفظ على "مدين" وهذا ما يمكن أن يفهم من الآيات السابقة على هذه الآية من نفس السورة ، كما أطلقت على مساكن قوم لوط "قرية" حيث يقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ (الأنبياء) .

كما يقول سبحانه و تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ (الزخرف) .

والقريتان هما مكة والطائف وسكانهما قريش وثقيف .

مما سبق فإننا نقول أن القرية هى كل مكان اتصلت به الأبنية ويسكنها أناس من أصل واحد متصلين نسباً ومتصلين بنياناً فليس هناك عوائق بين بيوت القرى ولا أسوار على النقيض



مكة المكرمة أم القرى

من بيوت المدن التى وضعت لها الأسوار المرتفعة وذلك لأن الجار غريب عن جاره وإن كان صديقاً له لأن مجتمع المدينة خليط من الأجناس والقبائل والأصل المختلف ٠ [١]

التجمعات البدوية :

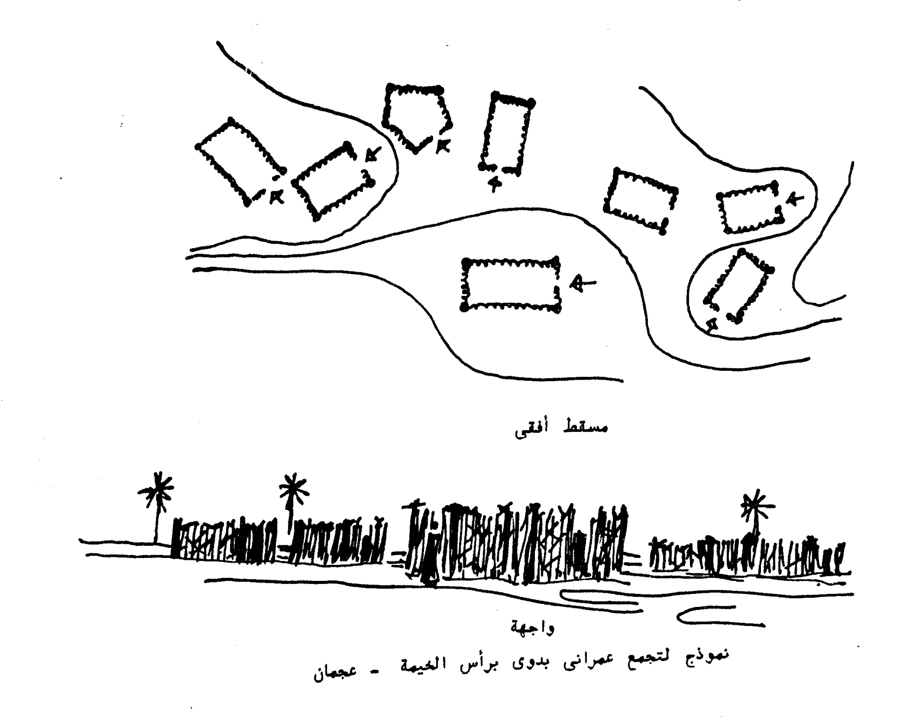
﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ (يوسف) .

يخبرنا الله سبحانه وتعالى عن لقاء سيدنا يوسف بأبوية بعد أن طال غيابه عنهما حيث أجلس أبوية على سرير الملك بجانبه ، وسجد له أبواه وأمه وإخوته حين دخولهم عليه وكان السجود عندهم تحية وكرامة لاعباده ، وقال سيدنا يوسف هذا تفسير الرؤيا التى رأيتها فى منامى وأنا صغير ، وقد أنعم الله على إذا أخرجنى من السجن وجاء بكم من البادية حيث أنهم كانوا أهل إبل وغنم ببادية فلسطين ، فذكرهم بنعمة الله على آل يعقوب حيث نقلهم من البادية إلى الحضر ٠

وفى الآية الكريمة إشارة إلى المجتمعات البدوية ، وهى مازالت منتشرة حتى عصرنا هذا فى كثير من صحراء البلدان العربية كما فى سيناء بمصر ، أو فى السعودية وغيرها من

---

(١) الكتاب و السنة أساس تأويل العمارة الإسلامية ، م/ عبد العزيز أبا الخيل .



نموذج لتجمع عمرانى بدوى برأس الخيمة - عجمان

الدول الخليجة ، وتتميز المجتمعات البدوية عادة بأسلوب خاص في أنماط المعيشة علاوة على خصائص تركيبها من الناحية الإجتماعية والإقتصادية .

وإذا كنا قد أوضحنا أنواع التجمعات العمرانية كما جاء ذكرها فى القرآن الكريم فإنه لا يمكن أن نجزم تماما بخصائص هذه التجمعات وهل هى تتشابه مع خصائص التجمعات العمرانية القائمة فى العصر الحديث وبمعنى آخر هل يمكن مقارنة مجتمع المدينة أو القرية كما ورد فى القرآن الكريم بمجتمع المدينة أو القرية اليوم؟.

بصفه عامة يمكن أن نؤكد على أنه توجد اختلافات شاسعه الآن فى شكل وتخطيط التجمعات العمرانية الحديثة عن القديمة وإن كانت توجد بعض العوامل والتى لا زالت لم تتغير ونقصد بها العوامل الأساسية المكونة والموجدة لهذه التجمعات العمرانية والتى ورد ذكرها فى القرآن الكريم .

العناصر المكونة والموجدة للتجمعات العمرانية :

من أقوال الحكماء : " إن المدآئن لا تبنى إلا على ثلاثة أشياء : على الماء والكلأ والمحتطب" .[1]

فالماء هو أساس التجمعات العمرانية فبوجود المآء والأرض والإنسان يتكون التجمع العمرانى والذى غالباً ما كان يعتمد قديماً على الزراعة والرعى ، وإذا تأملنا قوله سبحانه وتعالى :

---

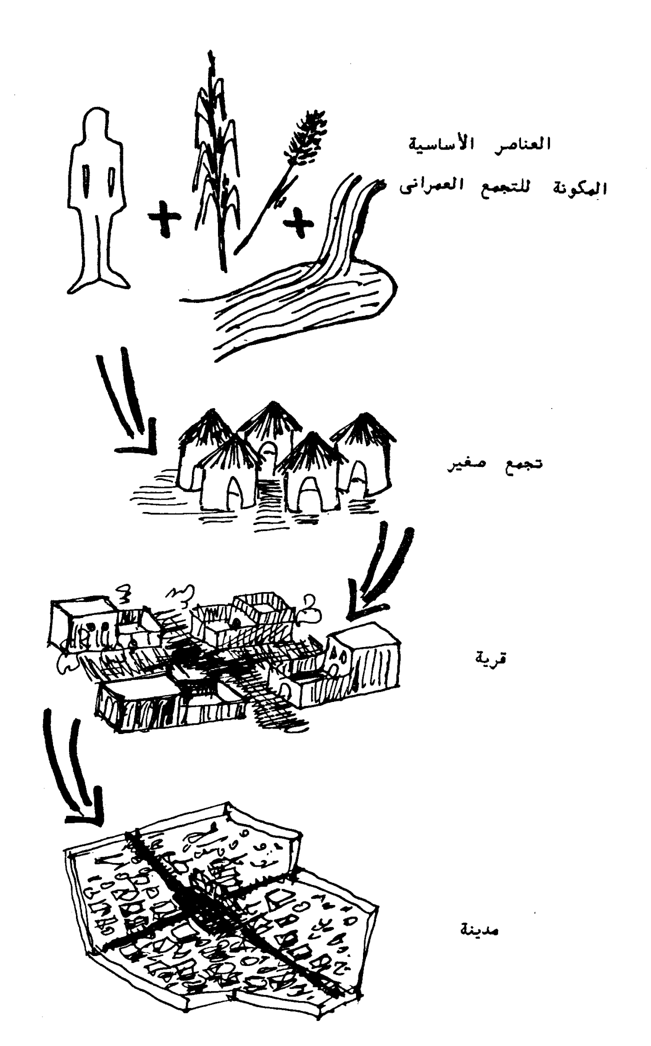
(1) "موسوعة العمارة الإسلامية"، د/ عبد الرحيم غالب .

﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ (الحج) .

فإننا نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر أن إهلاك القرى الظالمة يتضمن تخريب منازلها وقصورها وكذلك تعطيل آبارها بحيث لا يستقى منها أحدوبذلك نلمح أهمية الآبار كمصدر للماء كعامل أساسى لتواجد التجمعات العمرانية ، ويؤكد ذلك قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القصص) .

فلقد أشارت الآية الكريمة إلى "مآء مدين" والذى كان عليه أمه من الناس يسقون منه الغنم ، ولا أدل على أهمية المآء للتجمعات العمرانية من حرص الرسول عليه الصلاة والسلام على ابتياع بئر "رومه" بالمدينة المنورة وكان ملكا لواحد من يهود وذلك لعلمه التام بأهمية المآء كأساس لحياة الإنسان بصفة عامة ولتجمعات المسلمين بالمدينة المنورة بصفة خاصة، فلقد روى البيهقى فى سننه الكبرى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال فى حديث طويل :" أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: من يبتاع بئر رومه فأتيت



[مراحل تطور التجمعات العمرانيه]

رسول الله صلى الله عليه و سلم فقلت : إني ابتعت بئر رومه، فقال: إجعلها سقاية للمسلمين و أجرها لك، قالوا: نعم ..." إلى آخر حديثه .

و يذكر ابن خلدون عدة شروط يجب أن تتوفر لبناء المدن منها :"حمايتها من الأعداء بتحصينها في أماكن طبيعية و تسويرها و انتقاء أماكن جيدة المناخ عذبة الماء غزيرة العشب كثيرة الغابات مراعاة للصحة العامة و تأميناً للمأكل و المرعى و لحطب التدفئة و وقود الطبخ و خشب البناء و يستحسن أن تكون المدينة قريبة من البحر لإعطائها بعداً خارج حدودها و توفير اتصالها بالمدن النائية شرط أن تكون منيعة من الأعداء صعبة المنال من المهاجمين ..."[١] .

فبالنسبة للعوامل البيئية كعامل مؤثر في اختيار مواقع المدن فإننا نلمح ذلك في قوله سبحانه و تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ (١٥) (سبأ) .

فلقد قال عبد الرحمن بن زيد :« إن الآية التي كانت لأهل سبأ في مساكنهم أنهم لم يروا فيها بعوضة قط و لا ذباباً و لا برغوثاً و لا قملة و لا عقرباً و لا حية و لا غيرها من الهوام، وإذا جاءهم الركب في ثيابهم القمل و الدواب فإذا نظروا إلى بيوتها ماتت الدواب، و قيل : بلدة طيبة ليس فيها هوام لطيب هوائها» [٢] .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) تفسير القرطبي .

و تشير الآية الكريمة السابقة إلى أهمية اختيار مواقع المدن من حيث المناخ الجيد و الهواء الطيب مما يكون له أكبر الأثر على حياة سكان هذه المدن و تمتعهم بصحة جيدة و عيشة هانئة .

يقول البلاذرى صاحب "فتوح البلدان" : «إن سعداً لما فتح المدائن و ما حولها أنزلها جنده فاجتووها- يعنى كرهوا الإقامة فيها- فأنزلهم مكاناً آخر بالقرب من الكوفه، و لكنهم تأذوا بالبعوض فكتب سعد إلى عمر يعلمه أن الناس قد بغضوا و تأذوا بذلك، ورد عمر على سعد قائلا :« إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان »، و أمره أن يبعث سلمان الفارس و حذيفه بن اليمان ليرتادا منزلا للناس تتوفر فيه الشروط التى توافق بيئة العرب و المناخ الذى يناسبهم، و من هنا كان البحث عن المكان المناسب فاتخذوه حيث وجدوه فى موضع «الكوفة».[1]

و من عوامل تواجد التجمعات العمرانية أيضاً وجود ما يسمى "بالقاعدة الإقتصادية" أو النشاط الاقتصادى الذى يعتمد عليه سكان هذا التجمع سواء كان قرية أو مدينة لاكتساب أرزاقهم، فيمكن مثلا أن تتمثل هذه القاعدة الاقتصادية فى الصيد إذا كان التجمع العمرانى يقع على أو بالقرب من المسطحات المائية كالبحار أو الأنهار، و نلمح ذلك فى قوله سبحانه و تعالى:

---

(١) عناية الإسلام بتخطيط المدن و عمارتها ، د/ محمد السيد الوكيل .

﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأعراف) .

و يقال أن القرية التى ذكرت فى الآية السابقة هى "أيلة" و كانت بالقرب من البحر و كان سكانها من اليهود و كانوا يعتمدون على الصيد فكان الله يختبرهم بإظهار السمك لهم على ظهر الماء فى اليوم الذى حرم عليهم صيده فيه، و كان يخفيه عنهم فى الأيام التى أحل لهم صيده فيها .

كما يمكن أن يعتمد النشاط الاقتصادى للتجمع العمرانى على السياحة كما فى مكة المكرمة حيث تعتمد منذ زمن بعيد على السياحة الدينية و التى تتمثل فى الحج إلى الكعبة و ما يستتبع ذلك من رواج تجارى و منافع للناس، و يمكن أن نلمح إشارة إلى ذلك فى قوله سبحانه و تعالى :

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (إبراهيم) .

و نلاحظ فى الآية السابقة أن سيدنا إبراهيم قد دعا الله سبحانه و تعالى بقوله :"فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم"، و قد استجاب الله لدعاء نبيه و أصبحت قلوب المؤمنين تهوى إلى

مكة المكرمة على مر العصور لأداء مناسك الحج، و قد قال ابن عباس و مجاهد و سعيد بن جبير و غيره: "لو قال أفئدة الناس لازدحم عليه فارس و الروم و اليهود و النصارى و الناس كلهم و لكن قال « من الناس » فاختص به المسلمون" [١] .

هذه لمحة سريعة عن بعض العوامل الأساسية المكونة و الموجودة للتجمعات العمرانية و التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم .

أما بعد تواجد التجمع العمرانى فغالباً ما كان يتم تحصينه لحمايته من الأعداء سواء كان ذلك بالأسوار أو الحصون و ما شابه و نلمح ذلك فى قوله سبحانه و تعالى :

﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ﴾ من الآية ١٤ (الحشر).

و غالباً ما يكون لهذا التجمع فى حالة كبره كالمدن مثلا عدة أبواب و ليس باباً واحداً، و نجد ذلك فى قوله سبحانه و تعالى :

﴿ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾ من الآية ٦٧ (يوسف) .

و لقد ذكر القرطبى أن مصر فى هذا الوقت كان لها أربعة أبواب[٢]، و فى الآية إشارة إلى أهمية أن يكون للمدن أكثر من باب و مدخل حتى يتيسر الدخول و الخروج من المدينة .

---

(١) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير .

(٢) تفسير القرطبى .

و فى داخل هذا التجمع العمرانى تنتشر المبانى السكنية و المبانى العامة كالمساجد و الأسواق و المناطق التجارية، حيث يقول سبحانه و تعالى :

﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ من الآية ٧ (الفرقان) .

أو الأماكن التى يجتمع فيها الناس لتدارس شئون مجتمعهم إن كانوا صالحين أو أماكن اللهو و العبث فى المجتمعات الفاسدة، حيث يقول :

﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾ من الآية ٢٩ (العنكبوت) .

مما سبق نجد أن القرآن الكريم أعطانا إشارات و لفتات جليلة عن التجمعات العمرانية من حيث أنواعها و العوامل الأساسية التى تساهم فى تواجدها و العناصر المكونة لهذه التجمعات، و سنحاول فى المبحث التالى توضيح بعض من جوانب تأثير المنهج الإسلامى على شكل و تخطيط مدن المسلمين .

المبحث الثانى

تأثير المنهج الاسلامى على تخطيط المدن

المدينة هى غاية العمران البشرى، و أى مدينة لها مظهر و جوهر، فمظهرها يجب أن يكون انعكاساً لهذا الجوهر، فجوهر المدينة الإسلامية ينبع و يعتمد على التزام أهلها و ساكنيها بتطبيق شرع الله و العمل بتعاليم الإسلام، و بتطبيق المنهج الإسلامى فى مبانى المدينة و فى أسلوب تخطيطها يتبلور مظهرها النابع من ذلك الجوهر .

و لقد أوضحنا فيما سبق من هذه الدراسة كيفية تطبيق المنهج الإسلامى فى مبانى المدينة على مختلف أنواعها و وظائفها، و بذلك يبقى أن نوضح كيف تنتظم هذه المبانى و الفراغات و الشوارع فى تخطيط واحد مكونة المدينة الإسلامية و التى تعتبر المدينة الفاضلة و النموذجية فى آن واحد .

و انطلاقاً من الأسلوب الذى اتبعناه فى هذه الدراسة من الإعتماد على المنهج الإسلامى و تأثيره على تصميم المبانى على مختلف أنواعها فإننا نحاول أن نعطى لمحة عن كيفية تأثير المنهج الإسلامى على تخطيط المدينة الإسلامية المعاصرة و ذلك من خلال النقاط التالية :

أولا : خصوصية عمران مكة و تأثير ذلك على المدن الأخرى :

روى الإمام مسلم عن الرسول عليه الصلاة و السلام أنه قال:"إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات و الأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، و إنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، و لم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، و لا يعضد شوكه، و لا ينفر صيده، و لا تلتقط لقطته إلا من عرفها، و لا يختلى خلاها، فقال العباس : يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم و لبيوتهم، فقال: إلا الإذخر"، و يشير الحديث إلى حرمة مكة أم القرى فلا يجب أن يقطع شجرها أو ينفر صيدها أو تلتقط لقطتها إلا من عرفها .

لذلك يجب أن يتكامل عمران مكه مع بيئتها الطبيعية و يحافظ عليها على مدى السنين و الأعوام بحيث يشاهد الحاج نفس الأشجار و النباتات التى كانت موجودة بمكة المكرمة منذ عهد الرسول عليه الصلاة و السلام و فى أماكنها التى نمت فيها، و قد استثنى الرسول عليه الصلاة و السلام نبات الإذخر حيث كان يستخدم فى تسقيف أبنيتهم فى ذلك الحين .

و لقد أوضحنا فيما سبق فى مبحث تأثير المنهج الإسلامى على عمارة المسكن أهمية توجيه غرف المسكن إلى جهة القبلة، و لا شك أن مكانة المسجد الحرام حيث الكعبة المكرمة قبلة المسلمين تجعله يفرض نفسه كمركز ثقل للتجمع العمرانى

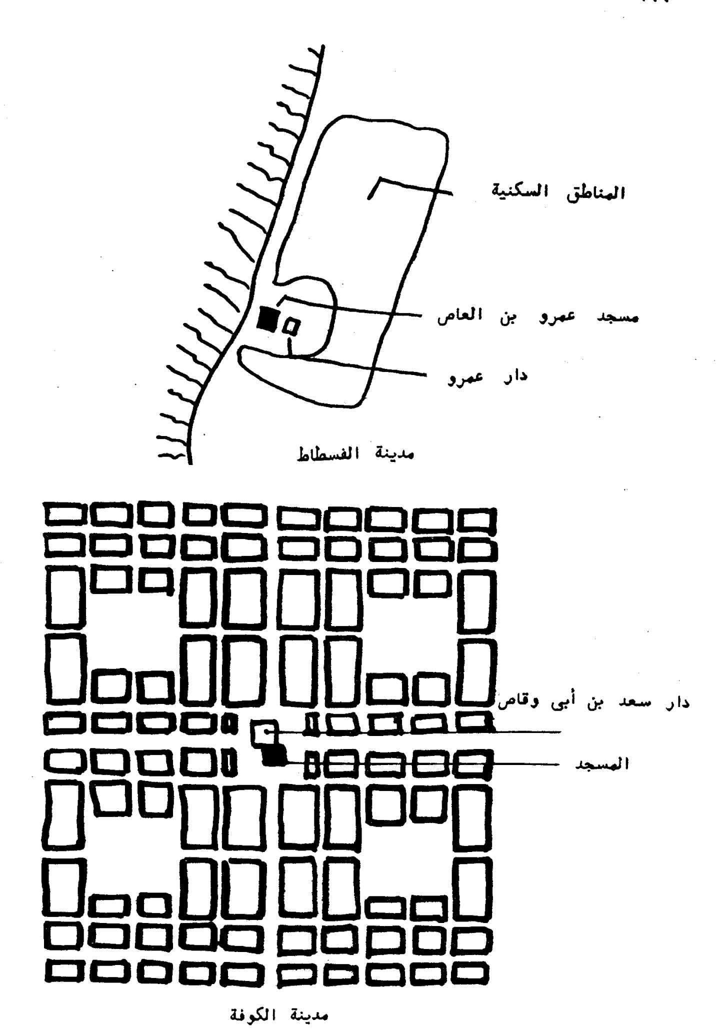
بمكة و يصبح توجيه المبانى خاصة ما كان قريباً منها من المسجد الحرام أمراً مطلوباً و مرغوباً فيه، و لكى يتحقق ذلك فإنه يجب مراعاة ذلك عند إعادة تخطيط المناطق المحيطة بالمسجد الحرام و التى تتشكل أغلبها من سفوح جبلية شديدة الإنحدار تلتف حول المنطقة المنخفضة و التى يقع بها المسجد الحرام .

أما بالنسبة للمدن الإسلامية الأخرى فى باقى بقاع الأرض، فانها تتأثر بأسلوب عمران مكة من حيث جعل المسجد هو أساس و مركز ثقل التجمع العمرانى، إلى جانب تكامل العمران مع البيئة الطبيعية و محاولة المحافظة على معالمها الأصلية بقدر الإمكان إلا فى الحالات التى تستدعى تغيير هذه المعالم .

ثانياً : المعايير التخطيطيه للمسجد :

من المعروف أن الرسول عليه الصلاة و السلام عند هجرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة كان أول ما فعله هو تحديد موضع و مكان المسجد ثم بنى حجرات زوجاته ملاصقة لجدران المسجد حيث تفتح أبوابها على صحن المسجد واضعاً بذلك قاعدة هامة و هى ارتباط دار الحكم بالمسجد، و هكذا فعل حكام المسلمين من بعده مثلما فعل "سعد بن وقاص" فى الكوفة و "عمر بن العاص" فى الفسطاط .

كما راعى الرسول عليه الصلاة و السلام أن يوزع المساجد



مدينة الفسطاط

مدينة الكوفة

[المسجد و دار الإمارة يتوسطان المدينة الإسلامية القديمة]

على خطط المدينة و بلغ عددها تسعة فى خطط المهاجرين و هى كانت مخصصة للصلوات الخمس فقط، كما حدد الرسول عليه الصلاة و السلام مساحة فضاء تقام فيها صلاة العيد عرفت "بمصلى العيد" .

مما سبق يتضح أن المسجد هو أساس النظرية التخطيطية لمدن المسلمين، و على ذلك يمكن تقسيم المساجد من الناحية التخطيطية بصفة عامة إلى ثلاثة أنواع :

مصلى أو مسجد صغير :

و هو يتسع لعدد قليل و يستخدم أساساً لتأدية صلاة الجماعة فى أوقاتها الخمسة و هو يقابل مساجد الخطط فى المدينة المنورة، و يكون على مستوى الخلايا السكنية التى يتراوح عدد سكانها بين خمسمائة إلى خمسمائة و ألف نسمة، و هو يرتبط ارتباطاً مباشراً بالخلايا السكنية و يمكن أن يكون على هيئة مساجد ذات كتلة معمارية منفصلة أو يبنى بالطوابق الأرضية بالعمارات السكنية .

المساجد الجامعة :

و هى لخدمة حى بأكمله أو مجاورة سكنية يتراوح سكانها عادة ما بين ثلاثة آلاف إلى ثمانية آلاف نسمة، و تقام بهذه المساجد صلاة الجمعة إلى جانب الصلوات الخمس، و يجب أن تتوسط الحى أو المجاورة السكنية بحيث تتجه إليها طرق المشاه

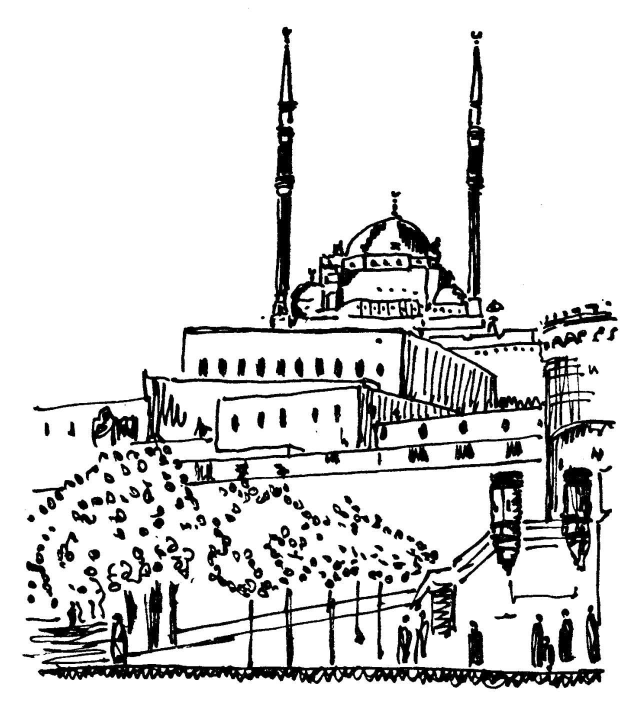
الرئيسية مع مراعاة ألا تزيد مسافة السير من المسكن إلى المسجد عن ثلاثمائة متر، و يفضل أن يتم تنسيق ممرات المشاه التى توصل للمسجد و أن تكون مظللة حتى نيسر على المصلين أثناء سيرهم إلى المسجد .

مصلى العـيد :

و يستعمل فى صلاة العيد أو فى صلاة الإستسقاء و يقع على مستوى المدينة و يمكن أن يتواجد أكثر من مصلى للعيد حسب اتساع و عدد سكان المدينة، و يفضل أن يقع على أطراف المدينة فى الخلاء .

و يجب بصفة عامة مراعاة اختيار موقع المساجد فى المدينة بحيث لا يتم فصلها عن المناطق السكنية بأن لا يختار موقعة مثلا فى منطقة أعلى من باقى المدينة كما نرى فى حالة " مسجد محمد على " بالقاهرة، حيث ينفصل الفراغ الدينى عن المناطق السكنية، فالأساس فى اختيار موقع المسجد أن يتكامل مع البيئة العمرانية لا أن ينفصل عنها .

كما يجب مراعاة توفير مواقف انتظار للسيارات و ذلك فى حالة المساجد الجامعة الكبيرة، و يمكن أن تكون فى طوابق سفلية تحت الأرض، و أن تستخدم فى غير أيام الجمعة لخدمة المنطقة و يكون دخل هذه المواقف كأحد مصادر الصرف على المسجد و صيانته .



مسجد محمد على و انفصاله عن العمران

ثالثاً : المجاورة السكنية الإسلامية :

و المنهج الإسلامى هنا يظهر فى فعل الرسول عليه الصلاة و السلام فى المدينة المنورة حيث قام بتجميع كل قبيلة فى خطة أو محلة سكنية و ترك تقسيم الخطة للقبيلة وفقا لظروفها و إمكانتها فى الإنشاء و التعمير .

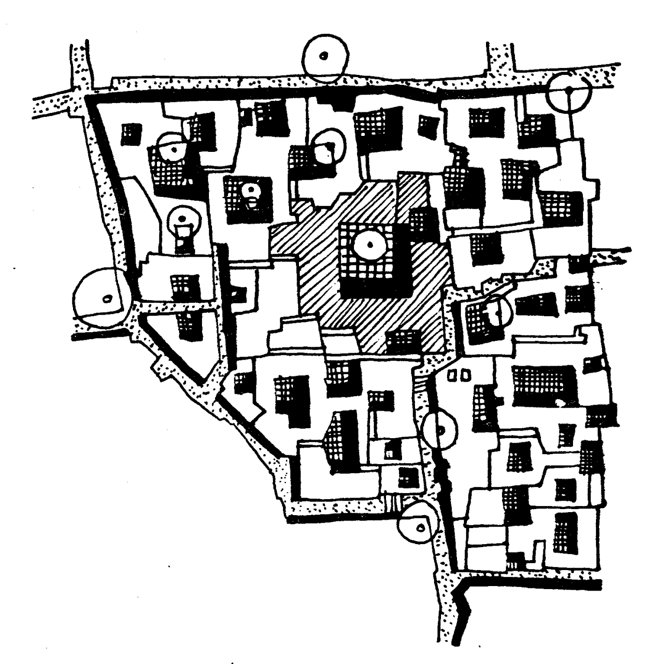
أما فيما يتعلق بحجم وحدة الجوار فإن كعب بن مالك يروى عن الرسول صلى الله عليه و سلم :"ألا إن أربعين داراً جار و لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه" رواه الطبرانى، و يكمل هذا الحديث حديث أبى هريرة مرفوعاً:" حق الجوار إلى أربعين داراً هكذا و هكذا يميناً و يساراً و أماماً و خلفاً"[١]

مما سبق فإن فكرة تقسيم المدينة إلى خطط أو محلات سكنية هى فكرة إسلامية الأصل، كما أن أساس تواجد المجاورة السكنية الإسلامية هى فى العلاقات الجيدة بين الجيران والتى أساسها تعاليم الإسلام وأن يخيم جو الهدوء والاطمئنان النفسى داخل المجاورة السكنية .

وكما أوضحنا سابقاً فإنه يجب أن يتواجد المسجد فى نواة المجاورة السكنية ، مع تواجد المدارس الأساسية فى منطقة متوسطة بالنسبة للمجاورة وذلك بعد أن انفصلت الوظيفة التعليمية عن المساجد واقتصر دورها فقط على أداء الصلاة أو تلقى الدروس الدينية ، لذلك يجب أن يحرص المخطط على الفصل

---

(١) من بحث الوحدة الجوار فى الإسلام"، د/ حازم ابراهيم، مجلة عالم البناء، عدد"١٩" .



مجموعة سكنية فى دمشق حيث تنتشر الأحواش السماوية و الممرات
الضيقة مع وجود المسجد فى مركزها

التام بين حركة المشاة وحركة السيارات داخل المجاورة السكنية حيث تصبح حركة السيارات على حدودها الخارجية و بذلك يشعر ساكنوا المجاورة بالأمان النفسى وبخاصة على أطفالهم أثناء ذهابهم وإيابهم الى ومن المدرسة أو فى خلال لعبهم فى الحدائق والمناطق المفتوحة التى تتخلل الخلايا والمجاورة السكنية ، وبفصل طرق السيارات خارج المجاورة السكنية فإن شبكات المرافق العامة من مياه ومجارى وكهرباء تصل إلى داخل المجاورة السكنية من خلال مسارات وطرق المشاه خلال أنفاق خاصة يتم عملها تحت طرق المشاه ٠

رابعاً : الأسواق و الورش و المناطق الصناعية :

والمنهج الإسلامى يظهر هنا فى فعل الرسول عليه الصلاة والسلام بالمدينة المنورة حيث اختار موقع السوق مكان "المناخة" حاليا وقال : "هذا سوقكم فلا يضيق ولا يؤخذ فيه خراج"[١]، وبذلك فلقد اختار مكانه على أطراف المدينة والمحلات السكنية ٠

كما أولى الفقهاء المناطق السكنية الرعاية أكثر مما أولوا الصناعات وقد استندوا فى ذلك لقول الرسول علية الصلاة والسلام :"لا ضرر ولا ضرار" ويصنف الفقهاء من أتباع الإمام مالك الضرر إلى صنفين : ضرر قائم وهو ناتج عن نشاطات استقرت فى منطقة ما قبل غيرها ويجمع الفقهاء على إبقائها

(١) "المدينة الإسلامية"، د/ محمد عبد الستار عثمان .

لأحقيتها على غيرها بما أنها "ضرر دخل عليه"، وضرر مستجد وهو الناتج عن نشاطات بدأت بعد استقرار الجيرة المحيطة و هي توقف فى حالة الضرر الشديد أو يمكن الإبقاء عليها إن أمكن التكيف معها كدخان المخابز و مطابخ البيوت. [١]

و على ذلك فإنه يجب مراعاة الفصل بين مناطق الأسواق و الورش و الصناعات عن المناطق السكنية و ذلك بأن توضع مراكز الإنتاج و الصناعات الرئيسية على أطراف المدن بعيداً عن التجمعات السكنية بحيث لا تؤثر عليها سواء بالتلوث أو الضوضاء مع توفير وسائل النقل و المواصلات اللازمة لها .

خامساً : الطرق و الفراغات العامة :

يتضح اهتمام الإسلام بالطرق و ذلك لأنها تعتبر الشرايين التى تتدفق فيها النشاطات الإنسانية و الإقتصادية و ذلك من خلال فعل الرسول عليه الصلاة و السلام بالمدينة المنورة حيث ربطت الشوارع و الطرقات بين المبانى و التجمعات العمرانية بعضها البعض و ذلك عن طريق الطرق الرئيسية و كان عرضها حوالى خمسة أمتار بينما تراوح عرض الطرق الجانبية بين خمسة أذرع و ست و سبع . [٢]

كما أخرج الإمام أحمد و أبو داود عن سهيل ابن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه قال: "غزوت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم غزوة كذا و كذا، فضيق الناس المنازل و قطعوا الطريق

---

(١) "التحكم فى استعمالات الأراضى فى المدينة العربية الإسلامية"، د/ صالح الهذلول، بحث من أبحاث ندوة "الإسكان فى المدينة الإسلامية"-بتصرف .

(٢) المدينة الإسلامية، د/ محمد عبد الستار عثمان .

فبعث النبى صلى الله عليه و سلم منادياً ينادى فى الناس من ضيق منزلا أو قطع طريقاً أو آذى مؤمناً فلا جهاد له" .

و لقد أجمل الإمام الغزالى فى كتابه "إحياء علوم الدين" تحت عنوان "منكرات الشوارع" ضروب الأذى المادى للمارة قائلا :" فمن المنكرات المعتادة وضع الإسطونات و بناء الدكات المتصلة بالأبنية المملوكة، و غرس الأشجار - أى وسط الطريق لا على جانبيه - و إخراج الرواشن و الأجنحة و وضع الخشب و أحمال الحبوب و الأطعمة على الطريق فكل ذلك يؤدى إلى تضييق الطرق و استضرار المارة، و إن لم يؤد إلى ضرر أصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه" .

أما عن عوامل الأذى المعنوى، فلقد نهى الرسول عليه الصلاة و السلام عن الجلوس فى الطرقات خشية أن يكون فى ذلك ما يسيىء إلى مشاعر المارة خاصة من النساء، فقد أخرج البخارى و مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :" إياكم و الجلوس فى الطرقات، فقالوا:"ما لنا بد إنما هى مجالسنا نتحدث فيها، قال: فإذا أبيتم إلا المجالس فاعطوا الطريق حقه، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: غض البصر و كف الأذى و رد السلام و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر" .

مما سبق نجد النهى عن أسباب الأذى المادى و المعنوى للطرقات و الفراغات العامة، و نجد أنه يمكن تلافى ذلك بطرق

مختلفة منها تصميم المبانى و البيوت السكنية على أفنية داخلية - إن أمكن - أو بتوفير شرفات خاصة بكل وحدة سكنية كبديل عن الفناء الداخلى بحيث تتوفر لها الخصوصية من أنظار المارة بالطرقات فيكون ذلك حلا لمشكلة الخصوصية بالمبانى السكنية و التزاماً أيضاً بحق الطريق كما قررته السنة النبوية المطهرة من جانب آخر حتى لا يكون الجالس فى شرفة المسكن أو النوافذ و كأنه يجلس فى الطرقات .

كما أن فصل الأنشطة التجارية و الصناعية عن المناطق السكنية يساعد على عدم وجود المحلات التجارية أو الورش و التى تطل مباشرة على الطرقات السكنية مما يؤذى المارة و خاصة النساء، و فى حالة ما أردنا وجود بعض المحلات التجارية بالمناطق السكنية و ذلك للإستعمالات اليومية الهامة للسكان فلا مانع من تجميعها فى منطقة مركزية واحدة داخل التجمعات العمرانية أو فى مبنى واحد متعدد الطوابق مما يحقق الغاية المنشودة .

أما بالنسبة للفراغات و المناطق المفتوحة خاصة ما كان منها داخل المناطق السكنية فيجب أن تصمم بأسلوب يحافظ على حق الطريق بأن تكون محاطة بالأشجار مثلا و لا تطل مقاعد الجلوس بها على الطرقات مباشرة، و يدخل فى ذلك المطاعم و المقاهى و ما شابه و التى يفضل أن تصمم على أفنية و حدائق داخلية بحيث يكون توجيهها إلى الداخل لا على الطرقات بحيث لا يصبح الرائح و الغادى هدفاً لأنظار الجالسين بها .

خـاتمــة

عالمية الفكر المعماري الإسلامي

اتضح لنا من هذه الدراسة المفهوم الصحيح لعمارة المسلمين، و ذلك بتطبيق تعاليم الإسلام و سنة الرسول عليه الصلاة و السلام فى عمارة المجتمع المسلم بمختلف منشآته و مبانيه .

و لا شك أن الدين الإسلامي صالح لكل زمان و مكان، و بالتالى نجد صلاحية الفكر المعمارى الإسلامى لكل زمان و مكان أيضاً، بل و تمتع هذا الفكر بعالمية لا يمكن أن يتمتع بها أى فكر معمارى آخر أو أى مدرسة معمارية أخرى، و لكى يتضح لنا ذلك بالأدلة و البراهين، فبالرجوع إلى الفصول المختلفة لهذه الدراسة يتضح لنا أهمية المأوى بالنسبة للإنسان و حاجته إليه منذ نفخ الروح فيه و هو جنين فى بطن أمه إلى أن يستقر مخلداً إما فى الجنة أو النار، كما أوضح لنا القرآن الكريم الأنواع المتعددة للمبانى فى المجتمعات البشرية فجاء ذكر المبانى الدينية و التجارية و الدفاعية إلى جانب الأنواع المختلفة للمأوى كسكن، ثم أوضح لنا القرآن الكريم الأسس الرئيسية لتكوين التجمعات العمرانية المتمثلة فى القرى و المدن، و بذلك أعطى القرآن حقائق ثابته حول عمارة الأرض بحيث لا يستطيع أى انسان مهما كانت عقيدته أو فكره أن يعارض هذه الحقائق العمرانية الثابتة .

أما بالنسبة لتأثير المنهج الإسلامى على المبانى فيتأكد لنا من خلاله حقيقة عالمية الفكر المعمارى الإسلامى و تتجلى هذه الحقيقة فى تطبيقات هذا الفكر، ففى مبانى العبادة لا يختلف اثنان على أهمية ألا ينشغل المصلى أو المتعبد داخل المكان المخصص للعبادة عن ذكر الله و عبادته، و هذا هو الأساس التصميمى للمسجد فى عمارة المجتمع المسلم .

أما فى المبانى السكنية فوجدنا أن الأساس فى تصميمها هو تحقيق الخصوصية لساكنيها بل وجدنا أن ذلك مطلب و توجيه قرآنى، و لا يمكن إنكار أهمية خصوصية المسكن بالنسبة لأى إنسان، و أنه حتى فى المجتمعات الغربية و التى أصبحت تتجاهل القيم الدينية بصفة عامة و تضرب بها عرض الحائط حيث أصبحت الإباحية بمختلف صورها عنواناً للحياة الإجتماعية فيها، بالرغم من كل ذلك، فإن الطبيعة و الفطرة البشرية فى هذه المجتمعات لا يمكن أن تستغنى عن حد أدنى من الخصوصية فى تصميم المبانى السكنية .

أما عن عمارة المسكن من الداخل فلقد وضع لها الإسلام مبادئ و أسس سبق و أن ذكرناها فى موضعها من هذه الدراسة و منها الحرص على توفير حد أدنى من عدد الغرف لإمكانية الحفاظ على خصوصية الوالدين و خصوصية الأبناء من الذكور و الإناث، كما راعى الإسلام العامل الإقتصادى فى عمارة المسكن من

الداخل فحذر من التبذير و الإسراف فى تأثيث المسكن و فى نفس الوقت دعى إلى البساطة والجمال ، ولا شك أن مراعاة الجوانب الإقتصادية بصفة عامة أصبحت من أهم العوامل فى حياة الأفراد أو المجتمعات البشرية ، كما أن البساطة والجمال والذين أصبحا مظهران من مظاهر المسكن الغربى الحديث والذى أصبح مثالا يحتذى به الآن قد حضت عليهما آيات القرآن الكريم وسنة الرسول علية الصلاة والسلام منذ خمسة عشر قرناً، وهذه كلها أدلة وبراهين على صلاحية الفكر المعمارى الإسلامى لكل زمان ومكان .

وإذا كان المجتمع العالمى المعاصر يتفاخر بأنه أعطى حقوقاً للمرأة ويدعو إلى احترام هذه الحقوق ، فإن الإسلام سبق البشرية كلها فى ذلك حيث أعطى للمرأة حقوقاً وحفاظاً على هذه الحقوق لم تعطه إياها أية شريعة أو فكر آخر ، ويتجلى احترام المرأة فى مجال الفكر المعمارى الإسلامى فى حرص هذا الفكر على ألا تتعرض المرأة لأية مضايقات خاصة فى المبانى العامة حيث الفصل بين مداخل الرجال والنساء أو فى مسارات الحركة خاصة الرأسية منها ، أو فى الحرص على إيجاد أجنحة خاصة للرجال وأخرى للنساء كما فى مبانى المستشفيات مثلا ، وأعتقد أنه لا يوجد إنسان محايد ليس فى قلبه مرض يمكن أن يعترض على هذه الفكر ، فالمرأة هى الأم والأخت والزوجة ، بل هى شرف وكرامة

أى إنسان ، ويتأكد مفهوم احترام الإسلام للمرأة فى المبانى أو المناطق السياحية الترفيهية ، حيث يدعو الإسلام للترويح عن النفس بلا إباحية أو إفساد للأخلاق ، ويتضح ذلك فى تطبيق القيم الإسلامية فى المنشآت والقرى السياحية وذلك بتخصيص أماكن للعائلات وأخرى للشباب وكذلك فى الشواطىء ، ولا مانع من تخصيص شواطىء خاصة لاستحمام النساء ومحمية من أنظار المتطفلين من الشباب أو الرجال ، وهذا هو قمة التحضر والرقى الإنسانى ، لذلك نجد أن بعض الدول الأوربية قد بدأت تضع بعض الضوابط للسائحين والذين كانوا يخرجون على قواعد الأخلاق واللياقة بالسير بملابس البحر والتى لاتكاد تستر عوارتهم خارج المناطق والشواطىء المخصصة لهم ، وكأن هذه الدول استشعرت خطر الإباحية الخلقية التى انغمسوا فيها تحت شعار الحرية والمساواة بين الرجل والمرأة وهم فى حقيقة الأمر يقللون من شأن المرأة ويجعلونها سلعة رخيصة الثمن ·

ثم يتضح لنا جانباً آخر من عالمية ورقى الفكر المعمارى الإسلامى وذلك فى دعوته للتمتع بزينة الله التى أخرجها لعباده وذلك بالدعوة لإيجاد الحدآئق والمتنزهات فى تخطيطات المدن أو فى الحدائق الداخلية بالمساكن إن أمكن وهى دعوة حضارية بكل المقاييس تحمل فى طياتها قيم الخير والجمال ·

ثم ينصهر الفكر المعمارى الإسلامى فى بوتقة واحدة ليخرج لنا مفهوم المدينة الإسلامية أو المدينة الفاضلة فى جوهرها ومظهرها واضعاً لها الأسس والمعايير التخطيطية التى تكفل الحياة الصحيحة لأفراد المجتمع البشرى وخاصة المجتمع المسلم ، ولقد حاولنا فى المبحث الخاص بتأثير المنهج الإسلامى على مدن المسلمين أن نبين بعضاً من هذه الأسس ونوضحها .

وإذا كان قد اتضح لنا عالمية الفكر المعمارى الإسلامى وصلاحيتة لكل زمان ومكان فهذا لا يعنى أن تتطابق أساليب البناء والإنشاء فى المجتمعات المسلمة ذلك لأن المنهج الإسلامى يوحد جوهر الفكر التصميمى فقط ويترك مجال الإبداع وحرية تطبيق هذا الفكر مفتوحاً حسب البيئة والمناخ ومواد الإنشاء وأساليب البناء المختلفة وهنا يتضح لنا المفهوم الصحيح لعمارة المجتمع المسلم ، حيث أنها :" العمارة التى يقيمها المسلم فى أى زمان أو مكان وفق تعاليم الإسلام وسنة الرسول علية الصلاة والسلام من أجل تنفيذ مشيئة الله فى عمارة الأرض ، عمارة صالحة فاضلة وكل ذلك من خلال العلوم المعمارية والبيئية والإنشائية المتعارف عليها على أحدث ما وصل إليه كل عصر من علوم " .

ومن التعريف السابق نخرج ببعض الأسس والحقائق الثابتة ألا وهى :

أولا : إن ارتباط الإسلام بفن العمارة حقيقة واقعة لا شك فيها وأن هذا الارتباط ارتباط جوهرى ، بمعنى أن كل مبنى في المجتمع المسلم يجب أن يطبق فيه قيم وتعاليم الإسلام ما أمكن ذلك، وأن تهيىء هذه العمارة البيئة الإسلامية الصالحة لمعيشة المسلم والمعينة له على عبادة الله وتنفيذ أوامره ·

ثانياً: أنه إذا اتفقنا على أنه توجد اختلافات من مكان لآخر تنحصر فى العوامل المناخية والبيئة أو الخلفيات الثقافية واختلاف مواد البناء وأساليب الإنشاء ، فإن هذه العوامل ستؤدى إلى ظهور اختلافات شكلية أو طرز مختلفة باختلاف المجتمعات وبتأثير هذه المتغيرات ، ولكن لا يجب أن تتعدى هذه الإختلافات الشكل أو المظهر الخارجي ولا يجب أن يختلف جوهر الفكر التصميى فى عمارة هذه المجتمعات الإسلامية حيث أن هذا الفكر يعتمد على رافد واحد ألا وهو تعاليم الإسلام ·

ثالثاً: أن عمارة المجتمع المسلم ما هى إلا مظهر مادى يعبر عن أخلاقيات الإسلام وأنه لا يمكن إيجاد عمارة المجتمع المسلم إلا بإيجاد المجتمع المسلم نفسه وبذلك نجد أن الدعوة لتأصيل القيم الإسلامية فى العمارة أو المدينة دعوة لا تتجزأ عن الدعوة الأساسية لوجود المجتمع المسلم الحقيقى المطبق لشرع الله وتعاليمه ، مما يؤكد أهمية تأصيل الفكر الإسلامى فى المجتمع المسلم على جميع المستويات وفى مختلف مجالات الحياة ·

مراجع الكتاب

١- القرآن الكريم .

٢- الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبى .

٣- تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير .

٤- فتح القدير، للإمام الشوكانى .

٥- فى ظلال القرآن، سيد قطب .

٦- صفوة التفاسير، محمد على الصابونى .

٧- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقى .

٨- فتح البارى بشرح صحيح البخارى، للإمام ابن حجر العسقلانى .

٩- الأدب المفرد، للإمام البخارى .

١٠- قصص الأنبياء، للحافظ ابن كثير .

١١- رياض الصالحين فى سيرة سيد المرسلين، للإمام النووى .

١٢- حاشية الدهلوى، للعلامة أحمد حسن الدهلوى .

١٣- حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح، للإمام ابن قيم الجوزية .

١٤- إصلاح المساجد من البدع و العوائد، لعلامة الشام محمد جمال الدين القاسمى .

١٥- الفقه على المذاهب الأربعة، وزارة الأوقاف المصرية .

١٦- المنتخب من السنة النبوية، صادر عن مجلة منبر الإسلام .

١٧- مع رسل الله فى القرآن، اللواء عبد المعز خطاب .

١٨- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، محمد ناصر الدين الألبانى .

١٩- المسجد فى الإسلام، خير الدين وانلى .

٢٠- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، طبعة خاصة بوزارة التربية و التعليم .

٢١- إعجاز النبات فى القرآن الكريم، د/ نظمى خليل أبو العطا

٢٢- مصر فى القرآن و السنة، د/ أحمد عبد الحميد يوسف، سلسلة "إقرأ" .

٢٣- أطلس التاريخ الإسلامى، د/ حسين مؤنس .

٢٤- موسوعة العمارة الإسلامية، د/ عبد الرحيم غالب .

٢٥- الكتاب و السنة أساس تأويل العمارة الإسلامية، م/ عبد العزيز عبد الله أبا الخيل .

٢٦- المنظور الإسلامى للنظرية المعمارية . »

٢٧- المنظور التاريخى للعمارة فى المشرق العربى . »

د/ عبد الباقى إبراهيم .

٢٨- المدينة الإسلامية، د/ محمد عبد الستار عثمان، سلسلة عالم المعرفة .

٢٩- عناية الإسلام بتخطيط المدن و عمارتها، د/ محمد السيد الوكيل .

٣٠- العمران و العمارة فى الوطن العربى، د/ محمد عبد العال إبراهيم .

٣١- القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية، د/ ثروت عكاشة .

٣٢- المؤثرات المناخية فى العمارة العربية، د/ بدر الدين الخولى .

٣٣- خواطر الشيخ الشعراوى حول عمران المجتمع الإسلامى، جمع و تحليل المؤلف .

٣٤- التحكم فى استعمالات الأراضى فى المدينة العربية

الإسلامية، بحث للدكتور/صالح الهذلول، من كتاب الإسكان فى المدينة الإسلامية «ندوة أنقرة»، منظمـــــة العواصم و المدن الإسلامية .

٣٥- "زوارق و بشر"، بقلم بنوا دلافون، مقال بمجلة رسالة اليونسكو، عدد ٢٦٨ .

٣٦- "أصول روحية للعمارة الإسلامية - القبلة و المحراب"، للأستاذ / عبد المجيـــــد وافى، مقال بمجلة منبر الإسلام، عدد "٢" سنة ١٩٧٤م .

٣٧- "البحث عن أنماط جديدة فى تصميم المساجد"، مقال فنى، مجلة عالم البنــــــاء عدد ٨٤ .

٣٨- "التصور العمرانى فى الإسلام كمخرج لعديد من المشاكل العمرانية" بحث للدكتور أحمد كمال عفيفى .

٣٩- وحدة الجوار فى الإسلام، بحث للدكتور/ محمد حازم إبراهيم، مجلة عالم البنـاء عدد "٩١" .

٤٠- الطرق و الفراغات فى السنة النبوية المطهرة، بحث للدكتور/ محمد حـــــــــازم إبراهيم، مجلة عالم البناء عدد "٨٦" .

٤١- المناطق الخضراء و المفتوحة و تأثيرها على تخطيط المدن بحث للدكتور محمـــد عباس الزعفرانى، بمجلة جمعية المهندسين المصرية عدد "٤" سنة ١٩٧٧م .

٤٢- العمارة الداخلية و الإنسان العربى، صلاح كامل، مقال بمجلة القاهرة عدد " ٥٥" .سنة ١٩٨٦ م.

٤٣- التشجير المعمارى، م/ محمد حماد و مهندس زراعى/ محمد فتحى سالم .

٤٤- تصميم و تنسيق الحدائق، د/ طارق محمود القيعي .

٤٥- أعداد متنوعة من مجلة " عالم البناء " المصرية .

٤٦- أعداد متنوعة من مجلة " البناء " السعودية - الرياض .

٤٧- جريدة اللواء الإسلامى، عدد "٥٦"،"٥٧" سنة ١٩٨٣م .

48- EARTHLY PARADISE", BY JONAS LEHRMAN .

49- DOWN TO EARTH ", CONCEIVED AND DIRECTED BY JEAN DETHIER.

50- THE MOSQUE OF IBN TULUN .

محتويات الكتاب

الموضوع — **الصفحة**

الموضوع . الصفحة

رقـــم الإيــــداع
١٩٩٢/٣٠٥٠

I.S.B.N.

977-00-3046-0